التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 149 السنة الثامنة عشر - إبرايل 2020

أشباح «كـــورونـــا»

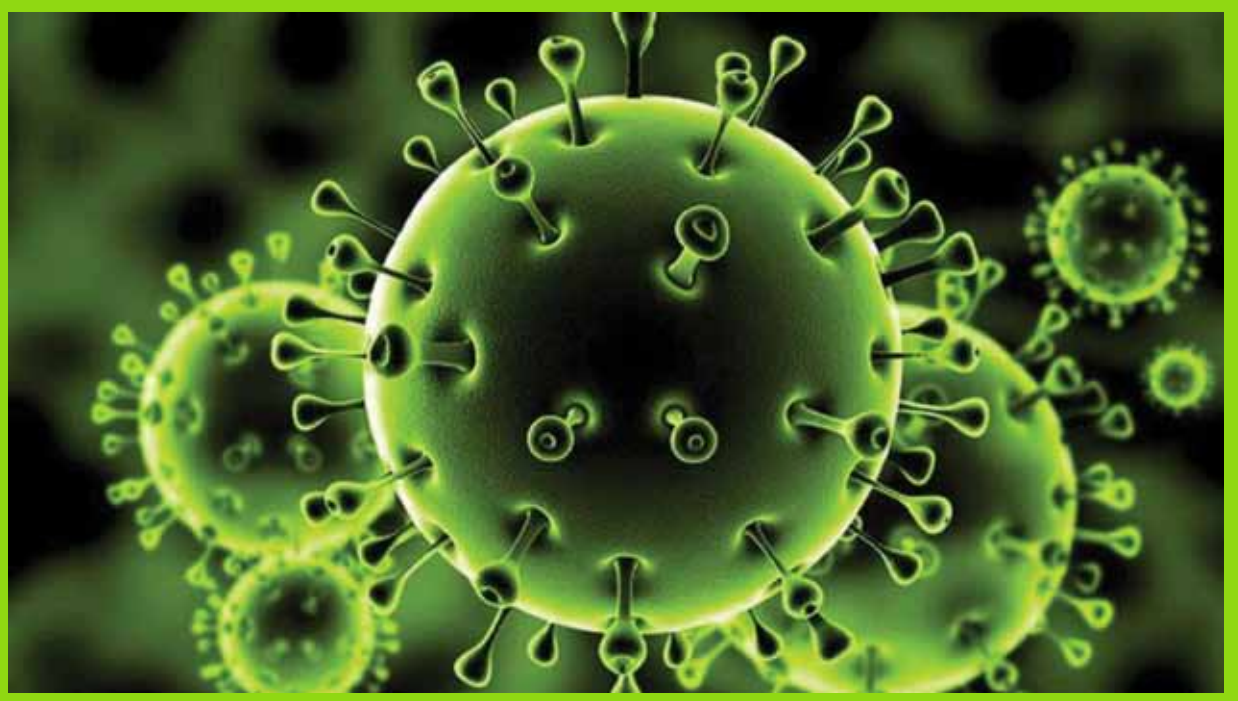

تقاعس القطاع الخاص 03

ملاحظات على التقاعد الاختياري 21

كرة الشعر التي أصابت الهدف 29

موقفنا

مصلحة الوطن في وحـدة أبنـائـه

عبّر المنبر التقدمي، في البيان الصادر عن مكتبه السياسي، عن تقديره للخطوات الجادة والمسؤولة التي قام بها الفريق الوطني بقيادة صاحب السمو الملكي ولي العهد في محاربة وباء «كورونا»، بما ترجمته من حرص على سلامة المواطنين والمقيمين، ومن تمسك بالتلاحم الوطني، الذي عبّر عن نفسه في صورٍ شتى من التضامن والتآزر بين البحرينيين جميعاً، في مواجهة خطر كبير وجامح، عابر للحدود.

في البيان نفسه، عبّر «التقدمي» عن نبذه لكل أشكال التسييس والتفرقة العنصرية والنعرات الطائفية التي حاول البعض استثمارها من مرضى النفوس وأصحاب الأصوات النشاز الذين يطلوّن برؤوسهم في كل ظرف، والذين ساءهم ما بلغه مجتمعنا من تعافٍ من آثار الأزمة الكبيرة التي مرّت بالوطن في العام 2011، محاولين، من جديد، شقّ وحدة الصف الوطني.

وكانت وقفة أبناء البحرين المخلصين وتلاحمهم كافية لإخراس صوت هؤلاء، وإظهار مدى عزلة دعواتهم، وخروجها عن السياق السوي الذي ينشده شعبنا، والذي يستجيب لمصالحنا الوطنية العليا في مواجهة أية مخاطر تحدق بنا.

كما كان أمراً مثلجًا لصدور الناس قرار العفو الذي أصدره جلالة الملك عن قرابة ألف سجين، فضلًا عن الإعلان عن دفعة جديدة من المشمولين بالعقوبات البديلة، مع ما يعنيه ذلك من عودتهم إلى بيوتهم وأهلهم، وحياتهم الطبيعية، وهي خطوة استقبلت بما هي أهل له من ترحيب وبهجة، وكذلك من تمنيات من أن تليها خطوات مشابهة في المستقبل، وتهيئة مناخ جديد من الحيوية السياسية في البلاد، التي عهدناها عند إنطلاقة المشروع الإصلاحي لجلالة الملك الذي استقبله شعبنا بالتأييد والدعم الكبيرين.

في هذا الظرف الصعب الذي تمرّ به البحرين والمنطقة والعالم كله، جراء تفشي جائحة «كورونا» التي تودي يومياً بحيوات المئات من البشر في مختلف البلدان والقارات، أظهرنا من مواقعنا المختلفة، حرصنا على وحدة جهودنا في مواجهة هذا الخطر، وما زال متعينًا بذل المزيد من العمل المسؤول لمحاصرة الوباء وتقليل ضحاياه عند أدنى حد ممكن، وأن تتوالى وتتضاعف الجهود المبذولة من أجل تحقيق ذلك، شاملة إعادة المواطنين العالقين في إيران باسرع وقت، وتوفير ما يلزمهم من رعاية طبية هم في أمسّ الحاجة إليها.

علينا جميعاً أن نظهر في هذا الوقت أنبل ما في نفوسنا من أخوّة وتضامن ومحبة ومسؤولية، فالمسألة تعني سلامة شعبنا واستقرار وطننا ومستقبله.

التقدمي

«القومي» و«التقدمي» تدعوان للإسراع في إعادة العالقين في الخارج

عبرت جمعيتا التجمع القومي والمنبر التقدمي عن ترحيبيهما بصدور المرسوم الملكي السامي بالعفو وتنفيذ العقوبات البديلة عن 1486 محكوماً، وأشادتا بالحزمة الاقتصادية والمالية التي أطلقتها الحكومة والتي تضمنت العديد من الاجراءات التي سوف تسهم في الحفاظ على سلامة الأفراد والمجتمع، وتدعم الوضع الاقتصادي، والذين تأثروا جميعهم بصورة كبيرة من جراء تفشي فايروس كورونا.

وقالت الجمعيتان في بيانٍ مشترك «إن هذه الحزمة تأتي استكمالاً للجهود الطبية والصحية الرائعة والكبيرة التي يقوم بها فريق البحرين برئاسة سمو ولي العهد في مواجهة ومحاصرة تفشي المرض بتكاتف وعطاء وبذل كافة الكوادر الطبية والصحية والتمريضية في المملكة وبدعم وتكاتف كبير وواسع من قبل فئات الشعب الذي بات يعبر بكل وعي وتحضر عن استجابته والتزامه بكافة الاجراءات الرسمية المعلنة لمواجهة ومحاصرة هذا المرض والحفاظ على سلامة المجتمع».

واستكمالاً لهذه الجهود الكبيرة، دعت الجمعيتان القيادة السياسية في البلاد إلى إطلاق سراح المزيد من السجناء من معتقلي الرأي لدواعي الظروف الراهنة، لتضفي المزيد من البهجة والتكاتف الوطني في المجتمع، وتسهم في طي صفحة التداعيات السياسية والأمنية الخطيرة التي مرت بها البلاد خلال السنوات الماضية.

ودعت الجمعيتان الجهات الرسمية المعنية للإسراع ووفقاً لخطة مدروسة لإعادة كافة أبناء الوطن العالقين في الخارج، وخاصة في البلدان التي تفشى فيها هذا المرض مثل إيران وذلك للحفاظ على سلامتهم، خاصة مع تأكيد الجهات الصحية المعنية بتوفر الاستعدادات والتدابير لمعالجة أعداد أكبر من المصابين بالمرض.

يستقطب محبي القراءة على اختلاف اهتماماتهم

جريًا على تقليده السنوي: «التقدمي» ينظّم معرض الكتب المستعملة

جريًا على التقليد الذي دأب عليه المنبر التقدمي في كل سنة بتنظيم معرض للكتب المستعملة، افتتحت نسخًة هذا العام من المعرض في الرابع عشر من فبراير، في قاعة جلجامش بفندق «جوليدن تولب»، بالتزامن مع انعقاد المنتدى الفكري السنوي للتقدمي، بحضور المشاركين في المنتدى من البحرين والبلدان الخليجية الشقيقة الأخرى، وبعدها انتقل المعرض إلى مقر «التقدمي» في مدينة عيسى، كما جرت العادة كل عام.

محتويات المعرض من الكتب والدوريات هي عبارة عن تبرعات من مثقفين وقراء بحرينيين، يقدّمون في كل عام مجموعة من مقتنياتهم من الكتب القيّمة، كي يستفيد منها الآخرون من المهتمين، خاصة الشباب منهم، وكما في كل عام احتوى المعرض، هذه السنة أيضًا، على مئات العناوين في مختلف المجالات العلمية والفكرية والأدبية والمعرفية، حيث نجد الروايات والمجموعات القصصية ودواوين الشعر والنصوص المسرحية والدراسات النقدية، كما نجد كتبًا في التاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع والفكر والفلسفة واللغات والفنون التشكيلية، فضلًا عن القواميس والموسوعات وألبومات الصور، وأعدادًا مختلفة من دوريات عربية مرموقة بعضها نادر.

ويقول الرفاق المشرفون على المعرض إن دائرة زواره تشهد ازديادًا وتنوعًا عامًا واء عام، ما يشير إلى مكانته بين معارض الكتب المستعملة في المملكة، والتي تجسد اهتمام القارى البحريني بالمعرفة والثقافة.

وبناء على رغبة المهتمين من محبي الكتب والقراءة أعلن «التقدمي» في البداية عن تمديد مدة المعرض حتى نهاية شهر مارس، ولكنه أعلن في منتصف الشهرعن إيقافه عملاً بتوجيهات الجهات المعنية في الدولة بمواجهة خطر تفشي فيروس «كورونا» بوقف أنشطة المؤسسات الأهلية وكافة التجمعات.

«التقدمي» يرحب بالعفو الملكي ويدعو إلى المزيد من المبادرات

يعرب المنبر التقدمي، عبر مكتبه السياسي، عن ترحيبه وبالغ تقديره بالعفو الملكي عن 901 من المحكوم عليهم، وذلك لدواعٍ إنسانية واستبدال العقوبة عن 585 نزيلاً في إطار التوسع في تطبيق قانون العقوبات والتدابير البديلة.

ويؤكد التقدمي أهمية هذه الخطوة التي أثلجت صدور المواطنين، ويعرب عن أمله بأن يطال العفو الملكي كافة المحكومين بقضايا الرأي وصولاً إلى انفراج سياسي، بما يُعزز الوحدة الوطنية ويقوي مناعة المجتمع البحريني في مواجهة كل التحديات.

إن المنبر التقدمي يناشد القيادة السياسية باتخاذ المزيد من الخطوات التي تحقق هذا الهدف بكل أبعاده وتجلياته بما يفتح أفقاً جديداً لانفراج سياسي يمكّن الإرادة الشعبية، ممثلة في مؤسسات المجتمع المدني من جمعيات وقوى سياسية من المشاركة الإيجابية والفعّالة في رسم مستقبل هذا الوطن وتعزيز مسيرته المستقبلية.

لقد بات لزاماً ونحن نواجه مع دول العالم تحدياً غير مسبوق يتمثل في فيروس «كورونا» أن نضع نصب أعيننا مقدار الخطر المحدق بشعبنا وبلدنا وبالمقيمين فيه، مبدين الاعتزاز والتقدير لكل الجهود التي تتصدى لمواجهة هذا الوباء، وفي ذات الوقت يبدي «التقدمي» كامل الاعتزاز بكل المظاهر المعبّرة عن التلاحم الوطني ونبذ كل أشكال التسييس والتفرقة العنصرية والنعرات الطائفية التي حاول البعض استثمارها من مرضى النفوس وأصحاب الأصوات النشاز التي تطلّ برأسها في كل ظرف، وكانت وقفة أبناء البحرين المخلصين وتلاحمهم كافية لإخراس صوت هؤلاء، داعين شعب البحرين إلى اتخاذ الحيطة والحذر من هؤلاء والتصدي لهم.

إن الخطوات الجادة والمسؤولة التي قام بها الفريق الوطني بقيادة صاحب السمو الملكي ولي العهد في مواجهة ومحاربة وباء «كورونا»، والتي هي موضع تقدير وثناء على مختلف المستويات، بما ترجمته من صورة بارزة ولافتة من صور التلاحم الوطني، جاءت متزامنة مع العفو الملكي المذكور مما يضفي بُعداً له معانٍ إيجابية يعزز من التلاحم، ويخدم ما نصبو إليه جميعاً على طريق تعزيز وحدتنا الوطنية، ومن هذا المنطلق يُجدّد المنبر التقدمي دعوته القيادة السياسية لتبني وطرح المزيد من المبادرات الوطنية الجادة التي تخدم ما نتطلع إليه من أهداف تفتح آفاقاً سياسية أرحب يتطلع اليها الجميع في مملكة البحرين.

١٥ مارس ٢٠٢٠

فضفضة

«الطفيلي» أو تقاعس القطاع الخاص

عيسى الدرازي

حاز الفيلم الكوري «الطفيلي» على عددٍ من جوائز الأوسكار قبل أشهر، ومن ضمنها أفضل فيلم لعام 2019. قصة الفيلم تصوّر العلاقة بين أسرة فقيرة وأخرى ذات مستوى معيشي عالٍ جداً، وكيف أن العائلة الثرية رغم كونها ذات مكانة علمية واجتماعية مرموقة، إلا أنها تتصف بالسذاجة بنسبة كبيرة وهو ما أدى بالأسرة المُعدّمة الأخرى أن تستغلها عبر أساليب ملتوية تتسم بالخداع والكذب، وتنجح العائلة الفقيرة في أن تعمل بكامل أفرادها لدى الأسر الثرية وبعضهم في مهن متخصصة لا يمتون لها بأدنى صلة أو وسيلة، أو حتى مؤهل علمي قريب منها.

بصرف النظر عن تطور الأحداث في الفيلم، لأن القصة أوسع من هذا السرد المختصر، وفي تركيز على جزئية معينة فقط وهي تعمّد الأسرة الفقيرة استغلال الأسرة الأخرى، عبر أساليب ملتوية والعيش معها في منزل واحد متطفلين عليهم واعتبارها بأنها ممارسة مستحقة لهم، وهو ما يمكن البناء عليه في تناولنا لمجريات الأحداث محلياً في مواجهة الوباء المنتشر حالياً كوفيد-19 أو كورونا.

الإجراءات الحكومية في مواجهة هذا الوباء المنتشر عالمياً على مستوى عالٍ من الاهتمام والتركيز من قيادة البلاد العليا، ورغم بعض التحفظات على جزئية إعادة المواطنين العالقين في الخارج لمن يرغب، إلا أن الإجراءات في مجملها انعكست ايجاباً على الشارع البحريني، ولم نشهد حتى اللحظة حالات هلع كما حدث في دول قريبة. إلا أنه وبالعودة للفيلم الكوري، إذا اعتبرنا مجازاً أن الحكومة تمثل صورة الأسرة الغنية فالحاصل أن القطاع الخاص عبر شركاته ومصارفه ومؤسساته الاستثمارية يؤدي دور الأسرة «الفقيرة» التي تعتاش بصورة طفيلية، مستغلة الإجراءات الحكومية في مواجهة هذا الوباء، دون أي اعتبار لما تفضي إليه مجريات الأمور من انعكاسات على المواطن.

لا يمكن للقطاع الخاص أن يستمر في عزل نفسه عن الصورة العامة في مواجهة هذا الوباء العالمي الذي يتربص للانقضاض بنا، ولا يمكن للحملات الدعائية التي يمارسها البعض ذراً للرماد، أن تبرىء ذمة القطاع الخاص من المساهمة الفاعلة والحقيقية وتقديم يد العون للدولة في هذه المواجهة وعدم تحميل المواطن تبعات هذا الوباء، انطلاقاً من المسؤولية الاجتماعية لهذه الشركات والمؤسسات المالية الضاربة جذورها في عمق السوق.

يجب النظر في إصدار تشريع يلزم شركات القطاع الخاص بتفعيل حقيقي لمفهوم المسؤولية الاجتماعية، ويجب أن تعي الجهات الرسمية بأن هذا القطاع الذي قامت بتسمينه وتدليله تقاعس اليوم من أجل مدّ يد العون لها وهي في أمس الحاجة، وظهرت طبيعته القائمة على الأخذ دون العطاء.

بيان التقدمي بمناسبة ٨ مارس يوم المرأة العالمي

ندعم كل الاجراءات النيي تنهض بواقع المرأة وتحقق المساواة

يحيي المنبرالتقدمي اليوم العالمي للمرأة الذي يصادف الثامن مارس (آذار)، جرياً على التقاليد النضالية المستقرة في البحرين، منذ أن اعتمدت الأمم المتحدة هذا اليوم للإحتفاء به كيوم عالمي للمرأة بدءاً من العام 1977، حيث حرصت مختلف القوى الوطنية والتقدمية والحركة النسائية في البحرين على إحياء هذه المناسبة، تعبيراً عن تمسكها بالدفاع عن حقوق المرأة، وهو النهج الذي يتمسك به المنبر التقدمي والتيار الذي يمثله في المجتمع، حيث رفع، وما يزال، راية الدفاع عن حقوق المرأة البحرينية في شتى الميادين داعياً إلى ترسيخ مباديء المساواة والعدالة الاجتماعية وتحقيق التنمية المستدامة التي لا يمكن أن تتحقق في وجود تمييز يطالها، وينتقص من حقوقها المدنية والسياسية. إن إرث التيار الذي يمثله «التقدمي» مليئ بنماذج النساء اللواتي انخرطن في ساحات النضال وساهمن فيه بوتيرة لا تقل عن رفاقها الرجال، ودفعن في سبيل مبادئهن وقناعاتهن وصمودهن تضحيات غالية كالاعتقال والفصل من العمل والحرمان من حياة زوجية مستقرة.

إن اعتماد الثامن من مارس من كل عام يوماً عالمياً للمرأة يعد انتصاراً ونقلة نوعية للمرأة يحتفي فيه بالإنجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحققت عبر قرون، بفضل التضحيات التي قدمتها أجيال متعاقبة من النساء المناضلات في صفوف الحركات النسوية والتنظيمات النسائية والأحزاب والتنظيمات التقدمية اللواتي قدّمن الغالي والنفيس من أجل تغيير الصورة النمطية للمرأة، وفي سبيل حصولها على أدنى حقوقها، ومازالت تبذل أقصى الجهود من أجل تعديل وإصدار القوانين والتشريعات التي ترتقي بمستوى المرأة إلى مستقبل أرحب لتكون مساهمة أساسية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(أنا المساواة بين الأجيال... إعمال حقوق المرأة) شعارالأمم المتحدة لـ 8 مارس 2020، في إطار حملتها للمرأة الجديدة المتعاقبة الأجيال.. جيل المساواة الذي يأتي بمناسبة مرور 25 عاماً على اعتماد منهاج بيجين 1995، باعتباره خارطة الطريق الأكثر تقدماً لتمكين النساء والفتيات في كل بقعة من العالم. وهناك إجماع عالمي بأنه رغم التقدم المحرز في حركة المساواة وتكافؤ الفرص إلا أن التغيير الحقيقي كان بطيئاً بشكل مؤلم بالنسبة لغالبية النساء والفتيات في العالم، وهذا ينطبق على الحال عندنا في البحرين، فعلى الرغم من تحقيق الكثير من المكاسب وانتزاع الكثير من الحقوق على مستوى إصدار قوانين وسن تشريعات جديدة وتوقيع اتفاقيات دولية تكفل حق المرأة وتحفظ كرامتها، إلا أنه تظل الكثير من الملفات عالقة في أدراج السلطتين التشريعية والتنفيذية.

ويسعى قطاع المرأة ب«التقدمي» بالشراكة المجتمعية مع مؤسسات المجتمع المدني والإتحاد النسائي والجمعيات المنضوية تحت مظلته ومع الجهات الرسمية القائمة على شئون وقضايا المرأة، وفي المقدمة منها الأعلى للمرأة في تطوير وتنفيذ كل ما يتعلق بالخطة الوطنية للنهوض بالمرأة البحرينية، معبرين عن تثمينا لجهود تلك الأطراف.

بمناسبة هذا اليوم العالمي يدعو التقدمي إلى تضافر جهود كافة مؤسسات المجتمع المدني في مملكة البحرين من أجل النهوض بمكانة المرأة للوصول بالخطة الوطنية إلى مبتغاها، إيمانا منا بأنه لا يمكن تحقيق إنجاز ملموس دون سنّ التشريعات التي تجرم الحطّ من كرامة المرأة وإنسانيتها ووقف التمييز ضدها كمنتجة في مواقع العمل وكأم وربة بيت في المنزل، خاصة وأنه بات من مقومات دخل واستقرارالأسرة البحرينية الاعتماد على عمل المرأة إن كانت زوجة أو ابنة أو أخت أو أم لتأمين أساسيات ومتطلبات الاحتياجات اليومية، ومع هذا الواقع والإرث الاجتماعي، لازالت مملكة البحرين في نظمها وتشريعاتها لم تواكب واقع المرأة البحرينية ولم تمكنها من تبوء موقعها الحقيقي في مسيرة التنمية.

وإيماناً منه والتزاماً بمبادئ حقوق الإنسان الكونية والإتفاقيات الدولية التي وقعتها المملكة كاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) الضامنة لحقوق المرأة يشارك قطاع المرأة بالتقدمي نساء العالم إحتفالاتهن بهذه المناسبة ويؤكد على:

أهمية إجراء التعديلات اللازمة على قانون أحكام الأسرة الموحد الذي صدر عام 2017 ومن بينها وأهمها رفع سن الزواج إلى 18 عام.

دعم مختلف الآليات التشريعية لمقاومة كل أشكال العنف الأسري بتعديل قانون الحماية من العنف الأسري بما يضمن تجريم العنف وتوسيع نطاق تطبيقه ليشمل العنف خارج المنزل وخادمة المنزل.

المطالبة بقانون يمنح المرأة البحرينية المتزوجة من أجنبي بمنح جنسيتها إلى أبنائها أسوة بالرجل بتعديل القانون لينصّ على أنه (يعتبر بحريني كل من وُلد لأب أو أم بحرينية).

المطالبة بإلغاء المادة المادة 353 من قانون العقوبات البحريني لتحاشي الإفلات من العقاب بالنسبة لحالات الاغتصاب والاعتداء على العرض عبر الزواج من الضحية، والكثير من المطالبات التي لا يسع المجال لذكرها.

سنّ التشريعات التي تضمن للمرأة البحرينية في الانتخابات التشريعية والبلدية تحقيق «كوتا» نسوية بنسبة لا تقل عن 30٪ من عدد النواب المنتخبين.

تعديل قانون التأمين الاجتماعي ليشمل استحقاق ورثة المرأة العاملة في الانتفاع براتبها التقاعدي بعد وفاتها أسوة بالرجل.

في 8 مارس 2020 يعبر المنبر التقدمي عن مساندته لصمود النساء اللاتي يعانين ويلات الإحتلال والحروب والنزاعات المسلحة وانتهاكات حقوق الإنسان في كل العالم، ويحيي كفاح المرأة العربية في فلسطين وبقية الأقطار العربية ويساند نضالها من أجل نيل حقوقها وتحقيق الحرية والمساواة.

لكل هؤلاء النسوة ولكل الأجيال المتعاقبة من القيادات النسائية والفتيات جيل المستقبل الواعد وصناع التغيير ونشطاء وناشطات المساواة في النوع الاجتماعي، ولكل المدافعين والمدافعات عن حقوق المرأة ألف تحية وتقدير وسلام.

فلنجعل من هذا العقد (2020 – 2030) عقداً مليئاً بالمكاسب والإنجازات في مواجهة التحديات المجتمعية والاقتصادية والبيئية التي تحيق بعمل التنظيمات والمؤسسات والعمل التطوعي بشكل خاص ولتكن هذه التحديات حافزاً قوياً للعمل الدؤوب من أجل رفعة شأن المرأة في بلادنا.

8 مارس 2020

قطاع المرأة يحتفي بالثامن من مارس بتوزيع الزهور

اعتاد قطاع المرأة في المنبر التقدمي أن يحيي سنويًا الثامن من مارس – يوم المرأة العالمي، بفعاليات متنوعة، من مهرجانات خطابية ومعارض وبرامج فنية وموسيقية وندوات تتناول قضايا المرأة بشكل عام، والمرأة البحرينية بوجه خاص، حيث يتحول الثامن من مارس إلى مناسبة لتسليط الضوء على جوانب مختلفة تتصل بنضال المرأة من أجل حقوقها، وانخراطها في النضال الوطني والاجتماعي في بلادها من أجل الحقوق الوطنية والسياسية والمعيشية، وفي بعض السنوات جرى تكريم مناضلات كان لهن دور بارز في مسيرة العمل الوطني والنسائي في فترات النضال السري الصعبة، وممن قدمن تضحيات جليلة خلاله.

في هذا العام، وأخذًا بعين الاعتبار الوضع الصحي الذي يعيشه العالم، بما في ذلك بلادنا البحرين، ومع تعذّر القيام بمهرجان خطابي أو عقد ندوة متخصصة أو معرض فني، وما إلى ذلك من فعاليات جماهيرية، اختار قطاع المرأة أن يحيي الثامن من مارس بتوزيع الزهور للنساء من مختلف الأعمار في مجمع الرملي، في بادرة تكريم وتحية للنساء في يومهن.

وقد شاركت عضوات من القطاع وبعض كوادر وأعضاء "التقدمي" في هذه الفعالية، التي كان لها وقع طيب في أوساط رواد المجمع.

من هي كلارا زيتكين

في الثامن من آذار مارس كل عام تحتفل النساء بيومهن العالمي، دون أن يعلمن من هي مؤسسة هذا اليوم الذي أصبح مناسبة احتفالية عالمية كبرى لهن، نسلط الضوء في السطور التالية على «كلارا زيتكين» أول مناضلة تدعو للاحتفال بهذا اليوم.

ولادتها ونشأتها

ولدت كلارا في 15 يوليو 1857 في قرية صغيرة في ساكسونيا، وكانت الابنة الكبرى لرجل يعمل بالتدريس. في هذه الفترة كانت ساكسونيا إحدى المناطق الأكثر تصنيعًا في ألمانيا، وكان أقل من ثلث السكان مازال يعمل بالزراعة، وفي هذه المنطقة كان هناك تنظيمات للحركة العمالية الألمانية، وكذلك للحركة النسائية. ومع ستينيات القرن الماضي تزايد عدد النساء في صفوف الطبقة العاملة، وتأسس عام 1869 اتحاد عمال النسيج والذي فتح عضوية للرجال والنساء، وخلال عامين فقط كانت نسبة النساء تتجاوز سدس العضوية التي قدرت بحوالي سبعة آلاف عامل.

في سن الـ21 أصبحت كلارا زيتكين اشتراكية، بتأثير من ناظرة مدرستها «أوجست شميت» وهي شخصية شهيرة في الحركة النسائية الألمانية، وبدأت نشاطها في حزب العمال الاشتراكي الألماني، وقابلت وقتها أوسيب زيتكين وهو ماركسي روسي مهاجر كان له تأثير بالغ على تطورها كاشتراكية.

انخراطها في العمل السياسي:

وفي 21 أكتوبر 1878، وبعد مرور أقل من ستة أشهر على التحاقها بالحركة الاشتراكية تم حظر جميع الأحزاب والصحف بفعل قانون بسمارك المعادي للاشتراكية، وبدأ انخراطها في العمل السياسي السري. وفي سبتمبر 1880 قبض على أوسيب زيتكين وعدد من رفاقه وطرد من ألمانيا. وبعد مرور عدة أشهر قررت كلارا ترك ألمانيا لتلحق بأوسيب زيتكين الذي ارتبطت به وبدأت في استخدام اسمه من أجل تسهيل الأمور الاجتماعية إلا أنهم لم يتزوجا رسميًا.

وأنجبت طفلين، ماكسيم عام 1883، وقسطنطين عام 1885، واشترك كل من كلارا وأوسيب، في الحركات الاشتراكية الفرنسية والألمانية والروسية وغيرها، وكانت هذه هي الفترة التي اكتسبت كلارا معرفتها بالحركة العمالية العالمية.

لكن أوسيب زيتكن توفي في يناير 1889، مسبباً صدمة كبيرة لكلارا. وفي نفس السنة، وفي سبتمبر 1889 تحدثت كلارا في المؤتمر التأسيسي للأممية الثاني عن تنظيم النساء العاملات، ومنذ ذلك الحين ولمدة خمس وعشرين عامًا تالية، كانت كلارا هي أهم شخصية في الحركة النسائية الاشتراكية الألمانية والعالمية.

موقفها من الحركات النسائية البرجوازية

وكان موقف زيتكن واضحًا من الحركات النسائية البرجوازية، حيث أنها أول مناضلة تدعو للاحتفال بهذا اليوم الذي يوافق مظاهرة النساء الاشتراكيات في نيويورك في 8 مارس 1908، ضد الحركة النسائية البرجوازية المطالبة بحق الاقتراع للنساء البرجوازيات فقط.

أراء زيتكن لمناصرة المرأة:

قالت في كلمة ألقتها عام 1896 في مؤتمر جوته للحزب الاشتراكي الديمقراطي نُشرت بعد ذلك على شكل كتيب تحت عنوان «فقط باشتراك المرأة ستنتصر الاشتراكية»:

«لا يوجد شيء يمكن وصفه «بالحركة النسائية» قائم بذاته.. توجد الحركة النسائية فقط في سياق التطور التاريخي.. ومن ثم هناك حركة نسائية برجوازية وأخرى عمالية، وليس بين هاتين ارتباط أكثر مما هنالك بين الاشتراكية الديمقراطية والمجتمع البرجوازي، فبالعمل خارج المنزل من أجل الأجر، تزيد استقلالية المرأة وهذه هي أحد شروط الحرية وإن كانت لا تعني بالضرورة تحقق تلك الحرية»، وتضيف كلارا: «لقد حققت المرأة في الطبقة العاملة استقلالها الاقتصادي إلا أنها لا تمتلك بعد إمكانية الحياة الكاملة كفرد، لأنها لا تحصل إلا على الفتات المتساقط من مائدة الإنتاج الرأسمالية رغم عملها ودورها كزوجة وأم».

وتابعت «بالتالي فإن نضال المرأة في صفوف الطبقة العاملة من أجل تحررها لا يمكن أن يكون نضالاً ضد الرجال من نفس الطبقة، كما هو حال المرأة البرجوازية. إن الهدف النهائي لنضال المرأة ليس مجرد المنافسة الحرة مع الرجال، بل الحصول على الحكم السياسي للطبقة العاملة. فالمرأة العمالية تناضل يدًا بيد مع رجال طبقتها ضد المجتمع الرأسمالي».

سبب تأسيسها لجريدة المساواة

ومثلت جريدة «المساواة» نصف الشهرية أحد أهم الأسلحة الفكرية والتنظيمية للنساء العاملات، وكانت زيتكين قد أسست هذه الصحيفة عام 1891 ورأست تحريرها لخمس وعشرين عامًا. وكانت الجريدة تسعى إلى تثقيف نساء الطبقة العاملة نظريًا ليكون لديهن قدرة على العمل الواعي في معركة تحرر الطبقة العاملة وعلى أن يكن فاعلات في تعليم وتثقيف رفاقهن الطبقيين ليكونوا مقاتلين ذوي هدف واضح.

٨ مارس يوم عالمي للمرأة

وجدد المؤتمر الثاني للحركة النسائية الاشتراكية الذي انعقد في كوبنهاجن عام 1910 التأكيد على مطلب الاقتراع العام، وفي ذلك المؤتمر اقترحت زيتكين اختيار يوم 8 مارس يومًا عالميًا للمرأة، ونال الاقتراح تأييد المؤتمر. ومنذ العام التالي (1911) وحتى بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت مظاهرات الاحتفال بيوم المرأة تنظم في جميع المدن الرئيسية في أوروبا، وكان أهم تلك المظاهرات هو الذي وقع أثناء الحرب في فبراير 1917 في روسيا وكان مقدمة الثورة الروسية الأولى.

لنتعلّم من الصين

جواد المرخي

شعوب العالم التي تناضل من أجل إرساء أسس العدالة الاجتماعية وفصل السلطات وديمقراطية فاعلة واحترام حقوق الانسان ومسألة التحرر والحرية، لم ترفع شعارات طائفية، وإنما شعارات وطنية لا تأبه للفوارق المذهبية والقومية بل ناضلت تحت راية موحدة لكل مكونات مجتمعاتها.

نحن في الوطن العربي أبتلينا ومنذ عقود بشعارات شعبوية طائفية مزّقت العمل الوطني المشترك في العديد من بلداننا، وهو ما يخدم مصالح الأنظمة الشمولية والدول الإقليمية.

هذه القوى الطائفية التي مزّقت النسيج الوطني للمجتمعات العربية المتآخية، لا تزال تظهر في الأوقات الحساسة والصعبة والأزمات لتنشر سمومها في أوساط الجماهير لإغوائها عن ثوابت العمل الوطني والمسؤولية تجاه الوطن، وهذا ما صرنا نلحظه في محنة وباء كورونا، فأصبحت الاتهامات توجه لهذه الطائفة أو تلك بصفتها هي من نشر الفايروس.

على أصحاب هذ الأبواق بجميع مستوياتها وفي كل مواقعها وصحفها وقنواتها أن يتعلموا من موقف الصين الشعبية، وكيف وحدّت قواها صفاً واحداً في مواجهة هذا الفايروس، لأنه يصيب كل أفراد المجتمع بعيداً عن طبقاتهم الاجتماعية وأفكارهم السياسية وعقيدتهم الفكرية، وبالتالي عملوا، حكومةً وشعباً، للحدّ من انتشاره، وسجلوا في ذلك تقدّماً كبيراً، وهاهي الصين تقدّم خبراتها إلى الدول الأخرى المحتاجة للمساعدة مثل إيطاليا، فاستحقت إعجاب العالم كله.

في البحرين هناك من يريد تحويل أزمة كورونا إلى أزمة طائفية، محاولاً إغواء الناس عن نضالهم اليومي لتحقيق العيش الكريم ووقف التلاعب بالأموال العامة، عن طريق سن قوانين رادعة لمحاربة الفساد المالي والإداري وحفظ المال العام في سبيل الإنفاق على برامج الصحة والتعليم والإسكان والبنى التحتية ورفع المستوى المعيشي لتخطي مستوى الفقر والعوز.

وطننا في حاجة إلى النضال الوطني بعيداً عن النفس الطائفي الذي مزّق النسيج الاجتماعي في البحرين خصوصاً بعد أحداث عام 2011، وهذا ما تزداد أهميته في أوقات الشدائد، كما هي الحال اليوم، حيث يجب توحيد مواقفنا الوطنية لمحاربة هذا الفايروس وعدم انتشاره الخطير في البحرين، فهو لا يميز بين الطوائف، وبين غني و فقير، فعلى العقلاء أن يردعوا كل أبواق الفتن الطائفية أينما كانت، وعلى الناس ألا تصغي لهم، وأن يكون حب الوطن هو بوصلتنا.

فنادق بحرينية تتجه للإغلاق وتسريح المئات ومطالبات بالتدخل

تسريح المئات

توقعت مصادر سياحية بحرينية تضرراً كبيراً في القطاع السياحي بالمملكة في ظل أزمة فيروس كورونا «كوفيد 19»، متوقعة خسائر بمئات الملايين من الدنانير خلال العام 2020، وإغلاقاً لعدد كبير من المنشآت الفندقية مشددة على أن الإجراءات الحكومية لدعم هذا القطاع الحيوي «متواضعة وغير مجدية».

وأوضحت بأن القطاع السياحي في البحرين يعتمد بنسبة 88٪ على السياح والزوار من دول مجلس التعاون الخليجي، ومع الإجراءات الأخيرة فإن عوائد القطاع السياحي ستنخفض إلى صفر٪ بسبب توقف السياح الخليجيين وغيرهم، وستكون نحو أكثر من 20 ألف غرفة بدون سياح.

وبينت بأن المنشآت السياحية لن تتمكن من دفع رسوم السياحة التي يتم تحصيلها من خلال الفنادق والمطاعم وغيرها، وتدفع بشكل ربع سنوي، والقرار الأخير بـ "إعفاء المنشآت والمرافق السياحية من رسوم السياحة لمدة 3 أشهر ابتداءً من أبريل 2020" غير مجدي، لأن الفنادق متضررة بشكل كبير، وهي غير قادرة على دفع تكاليفها التشغيلية، وحتى رواتب موظفيها.

وتوقعت المصادر "توجه العديد من الفنادق إلى الإغلاق قريباً، وتسريح المئات من العمال البحرينيين والأجانب العاملين في هذا القطاع». وذكرت بأن عدداً من الفنادق بدأ بالفعل في إغلاق مرافقه حتى إشعار آخر.

وفيما يتعلق بالتدابير المطلوبة لإنقاذ القطاع الفندقي، طالبت المصادر السياحية الحكومة بالتدخل العاجل، وتمديد إعفاء المنشآت والمرافق من رسوم السياحة اعتباراً من يناير الماضي وحتى إشعار آخر، وإلا ستتحول الفنادق إلى "عمارات خالية" قريباً. وستكون تكلفة إعادة تشغيلها مستقبلاً أكبر بكثير من معالجتها حالياً.

"الوطن" – ١٨/٣/٢٠٢٠

انخفاض عدد البحرينيين المؤمن عليهم بنسبة 13%

كشفت أحدث إحصائيات الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي ان إجمالي عدد مشتركيها في القطاعين العام والخاص بلغ 620 ألف مشترك، يشكل البحرينيون منهم ما نسبته 23٪، وعددهم 142 ألفا و972 فردا، فيما يبلغ عدد الأجانب 477 ألفا و741 موظفا.وذكرت الأرقام للربع الرابع من العام 2019 أن إجمالي عدد المتقاعدين الأحياء في القطاعين بلغ 69 ألفا و131 بحرينيا بنسبة ارتفاع وصلت إلى 19.7٪ عن العام 2018 الذي سجل 57 ألفا و711 متقاعدا. وأشارت إلى أن 33 ألفا و605 متقاعد تم تسجيلهم ضمن القطاع العام، بنسب ارتفاع بلغت 35.25٪، بيد أن نسب ارتفاع المتقاعدين في القطاع الخاص (35 ألفا و526 فردا) وصلت إلى 8٪ عن العام 2018 الذي سجل 32 ألفا و865.

إلى ذلك، انخفض عدد المؤمن عليهم البحرينيين في القطاع العام بنسبة 13٪ خلال العام الماضي بتسجيلهم 46 ألفا و639. فيما ارتفعت نسبة موظفي القطاع الخاص 3٪ بعدد 96 ألفا و333 موظفا. وانخفض حجم العمالة الأجنبية في العام نفسه بنسبة 4٪ في القطاع الخاص، حيث بلغ عدد الذكور 437 ألفا و887 والإناث 39 ألفا و854 امرأة.

وخلال الربع الرابع من العام الماضي وصل عدد أصحاب المعاشات المتوفين إلى 12 ألفا والمستحقين إلى 20 ألفا و156 مستحقا بإجمالي بلغ 89 ألفا و287 فردا، 54٪ من المستفيدين هم ذكور و46٪ إناث.

في حين ارتفع متوسط الراتب الشهري للموظفين المؤمن عليهم في «الخاص» من 723 دينارا بحرينيا في العام 2018 إلى 740 دينارا في 2019. وفي القطاع العام، انخفض متوسط الراتب من 902 دينار في العام 2018 إلى 831 دينارا في العام 2019. المستجدون أما المؤمن عليهم من الموظفين المستجدين فقد بلغ إجمالي عددهم في القطاعين 8225 خلال الربع الفائت، إذ سجل القطاع العام 1771 فردا بمتوسط راتب وصل إلى 590 دينارا، وفي الخاص 6454 فردا بمتوسط راتب شهري يصل إلى 429 دينارا. واقترب عدد الإناث الذين تم تعيينهم على رأس وظائفهم خلال الفترة من عدد الذكور في القطاع الخاص، إذ بلغ عددهن 3125 امرأة مقابل 3329 رجلا، فيما فاق عددهن في القطاع العام الرجال بـ969 أنثى مقابل 802 ذكر.

«أخبار الخليج» – ٦ مارس ٢٠٢٠

حميدان: نسبة النساء من القوى العاملة 47%

قال وزير العمل والتنمية الاجتماعية، جميل حميدان، إن 47٪ من إجمالي القوى العاملة الوطنية في البحرين إناث، فيما تجاوزت نسبتهن الـ 50٪ في القطاع الحكومي، وارتفعت في بعض القطاعات لتصل إلى 80٪، كقطاعي التعليم والخدمات الصحية، حيث تتولى المرأة البحرينية حالياً 45٪ من المناصب القيادية العليا في القطاع الحكومي، كما تتشارك في المناصب الإدارية المتوسطة بنسبة 59٪، فضلاً عن ارتفاع تمثيل المرأة في السلطة التشريعية.

وأشار حميدان إلى أن نسبة توظيف الإناث من إجمالي المتوظفين خلال العام 2018 بلغت40٪، بارتفاع ملحوظ مقارنة بنسبة 20٪ في العام 2014، ونسبة 25٪ في العام 2015، حيث تم توظيف ما مجموعه 9969 أنثى خلال العام 2019، 8654 منهن بدوام كلي، و1315 بدوام جزئي.

"الوطن" – ٦/٣/٢٠٢٠

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

"التأمين الاجتماعي": 1018 إصابة عمل بالقطاعين في 2019

كتبت: فاطمة يتيم

كشف تقرير صادر عن الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، أن عدد حالات إصابات العمل المسجلة حتى نهاية الربع الرابع من العام 2019 بلغت 1018 إصابة عمل في القطاعين العام والخاص من البحرينيين وغير البحرينيين. وبينت الإحصائية أن عدد البحرينيين المصابين بلغ 543 بحرينياً، منهم 397 من الذكور و146 إصابة لفئة الإناث، فيما سجل التقرير 475 إصابة لغير البحرينيين، منها 53 للإناث، و422 إصابة للذكور.

وبناء على التقرير فإن أغلب إصابات العمل وقعت في القطاع الخاص، إذ سجلت 825 إصابة، بينما تم تسجيل 193 إصابة في القطاع العام.

وبيّن التقرير أن إصابات القطاع العام في الربع الرابع من 2019 انخفضت مقارنة بالعام السابق، إذ بلغت 193 حالة فقط للبحرينيين وغير البحرينيين، في حين بلغت 221 حالة إصابة عمل في العام 2018.

"الوطن» – ٧/٣/٢٠٢٠

«تقدّم» تنتقد التلكؤ في إعادة المواطنين العالقين في إيران وتطالب بسرعة إنهاء معاناتهم

على مدى الأسابيع الثلاثة الماضية ومع بروز جائحة فايروس "كورونا" على المستوى العالمي، بادر أعضاء كتلة «تقدم" البرلمانية بالتواصل مع الجهات الرسمية المعنية للمطالبة بضرورة إعادة العالقين من المواطنين البحرينيين في الخارج، وعلى وجه التحديد في إيران، نظرا لمخاطر بقاءهم هناك عرضة للمرض والمعاناة. فقد أصدرت الكتلة أكثر من ثلاثة بيانات مع مجموعة من النواب حول ذلك، كما طالب أعضاؤها عبر وسائل التواصل الاجتماعي بضرورة تحمل الدولة لمسؤولياتها القانونية والدستورية تجاه مواطنيها في مثل هذا الظرف العصيب.

وكان عشرة نواب في مقدمتهم أعضاء الكتلة: عبدالنبي سلمان ويوسف زينل وفلاح هاشم، إضافة إلى النواب: كلثم الحايكي، عمار آل عباس، ممدوح الصالح، هشام العشيري، علي اسحاقي، زينب عبدالامير، أحمد الدمستاني طالبوا وزارة الخارجية بضرورة التعاطي بالحرفية المطلوبة في القيام بمسؤلياتها الأدبية والسياسية تجاه قضية المواطنين العالقين في ايران، مؤكدين على أهمية التعامل بالوضوح والشفافية لتبيان أسباب التلكؤ والتأخير في عملية اعادة المواطنين العالقين في إيران إلى البحرين وعلى وجه السرعة.

كما أوضح النواب أن المواطنين وأسرهم لازالوا يتواصلون بشكل يومي مع العديد من النواب لبث شكاواهم نتيجة أوضاعهم الإنسانية والمعيشية الصعبة هناك، في الوقت الذي تلتزم فيه وزارة الخارجية البحرينية الصمت المطبق وعدم الإفصاح عن الخطوات والجدول الزمني لعودة المواطنين العالقين إلى بلدهم بشكل إنساني آمن وسريع.

وحمل النواب المسؤولية الكاملة والمباشرة لوزارة الخارجية لكل الاضرار والمخاطر التي تلحق بالمواطنين العالقين في إيران نتيجة التراخي الحاصل، علمًا أن جميع دول العالم قد أنهوا قضية اجلاء مواطنيهم العالقين دون ابطاء او تسويف.

وبالمثل استثمر بعض اعضاء الكتلة علاقاتهم المباشرة مع كبار المسؤلين في الدولة من اجل تيسير مهمة عودة العالقين، حيث صدرت قرارات وتوجيهات عليا بسرعة العمل على ذلك باعتباره أولوية وطنية، إلا أن تلك الجهود والتوجيات سرعان ما اصطدمت بكثير من التلكؤ والإجراءات البيروقراطية، وغياب القرار الموحد تجاه هذه المهمة الانسانية، مما أبقى العالقين في حالة من المعاناة الانسانية التي لا زالت تداعياتها المرهقة تتفاقم.

عبد النبي سلمان: سعداء بتسوية ملفات أعداد كبيرة من خريجي الجامعات الصينية

بعد انقضاء أكثر من عام تكللت بالنجاح جهود اعضاء كتلة «تقدّم» وقلة من أعضاء مجلس النواب في بلورة حلول لملف طال انتظار ايجاد حلول له، بسبب تلكؤ وتعطيل غير مبررمن قبل وزارة التربية والتعليم. حيث اعلن عضو "تقدّم" عبدالنبي سلمان النائب الأول لرئيس مجلس النواب أنه بعد اتصالات واجتماعات مع كبار المسؤولين في الدولة، تمّ الوصول إلى حلول جرى التوافق حولها مع الطلاب وأولياء امورهم لقضية خريجي طلاب الطب البشري من جامعة ساوث ايست الصينية الذي ظلّ معطلًا نتيجة التسويف الرسمي غير المبرر خلال اكثر من خمس سنوات، وقد تمت مراجعة مؤهلات الخريجين من تلك الجامعة وتسوية أمر معادلة شهاداتهم، إضافة إلى إيجاد حلول لإعادة تأهيل من يحتاج من خريجي تلك الجامعة البالغ عددهم أكثر من 87 خريجا.

وأكدّ سلمان أنه قام شخصيًا بتواصل مكثف طيلة الشهور الأخيرة مع الجهات المعنية في الدولة، وعلى اعلى المستويات، من اجل معادلة وتأهيل مجموعة كبيرة جدا، تقدر بالمئات من اطباء الأسنان المتخرجين من جامعة تشيانج الصينية، الذين توقفت وزارة التربية والتعليم منذ سنوات عن معادلة مؤهلاتهم لأسباب غير مفهومة، حيث أعلن مصدر رسمي لاحقًا أنه تمّ الانتهاء من اجراء المقابلات الشخصية لأطباء الأسنان الخريجين من تلك الجامعة، وتجري الآن معالجة ملفهم وملفات طلاب آخرين من بعض الجامعات العربية والعالمية وفق المعايير الأكاديمية.

معلقاً على المرسوم الملكي بالعفو عن 901 من المحكوم عليهم:

زينل: الإفراجات تعزز من أجواء التفاؤل والاستقرار.. ونأمل المزيد

أشاد عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل بالمرسوم الملكي الخاص بالعفو عن 901 من المحكوم عليهم، إلى جانب شمول 585 نزيلاً بالعقوبات البديلة، ورأى في ذلك سبيلاً لإشاعة أجواء التفاؤل في البلد وتعزيز الاستقرار المجتمعي، مضيفاً أن هناك تحديات عديدة تحيط بنا، إقليمياً وعالمياً وليس «كورونا» إلا واحداً منها، ومواجهتها ثم التغلب عليها مرهون بمقدار وحدتنا، وتشبثنا بثوابتنا الوطنية.

وواصل: الإفراجات توصلنا دون شك لانفراجات، لذا نأمل في المزيد، والتمهيد لاستعادة البحرين أجواء ميثاق العمل الوطني التي ظللت المملكة وأعادت للعمل السياسي وهجه والحياة.

وحول استفادة محكومين جدد من قانون العقوبات البديلة، قال زينل إنه يؤكد صوابية القانون والتوسع في تطبيقه، بما ينسجم وإرساء قيم حقوق الإنسان والتعاطي المرن والحضاري والبناء مع مفردة العقوبات.

ساهمت فيها "تقدّم" بفعالية

جهود برلمانية ورسمية لتخفيف معاناة المواطنين في الظروف الراهنة

في ظل الأوضاع الصعبة التي يعيشها المواطنون في البحرين جراء تداعيات الأزمة الصحية الخطيرة المترتبة على انتشار فيروس «كورونا» حول العالم، طالبت كتلة «تقدّم» من داخل وخارج قبة البرلمان بالتخفيف من وطأة تلك التداعيات على المواطنين، حيث ساهمت خلال الأسابيع الثلاثة الماضية في بلورة رأي شعبي وبرلماني يأخذ في الاعتبار ضرورة الأخذ بحلول سريعة وعاجلة للتعاطي مع تداعيات الأزمة على اكثر من صعيد، وفي مقدم ذلك معالجة الأوضاع المعيشية والصحية وظروف العمل لكافة المواطنين والمقيمين، وهو ما اثمر، بالتضافر مع التوجهات الرسمية والشعبية الأخرى، في وضع عدد من الحلول التي ساهم بعضها في تعافي الكثير من المصابين بالفيروس، بالإضافة الى مبادرة الدولة بطرح حزمة من الاجراءات العاجلة للتعاطي سريعا مع جملة من الأوضاع المعيشية للمواطنين.

فقد أطلقت الدولة سلسلة من القرارات المتعلقة بتأجيل القروض على المواطنين لفترة ستة اشهر، وإعفائهم من دفع فواتير الكهرباء لثلاثة اشهر متواصلة ابتداء من شهر ابريل، علاوة على تكفل صندوق التعطل بسداد رواتب موظفي القطاع الخاص، ومضاعفة حزمة المساعدات المقدمة لشركات القطاع الخاص لمساعدتها على تجاوز تبعات تراجع الوضع الاقتصادي الناتج عن استمرار تداعيات الأزمة محليًا واقليميًا ودوليًا.

فلاح هاشم يدعو لتمديد صرف إعانة التعطل لشهور إضافية

بعد الإعلان عن توجه الدولة لصرف أجور العاملين من المواطنين في القطاع الخاص من ميزانية صندوق التأمين ضد التعطل؛ «كإجراء استباقي» لمن قد يفقدون وظائفهم نتيجة لتوقف أو تراجع أعمال بعض الشركات.. أدلى عضو «تقدّم» النائب فلاح هاشم، بالتصريح التالي:

أولا: إننا نرى قبل ذلك وجود ضرورة لتمديد صرف إعانة التعطل وتعويضه لمدة ثلاثة أشهر إضافية وعدم احتسابها من المدة الأساسية، وذلك لصعوبة إيجاد وظائف للعاطلين في الوقت الحالي، ولحاجتهم لهذه الإعانة أو التعويض بصورة ملحة في الوقت الراهن.

ثانيا: يجب أن تشمل تلك التعويضات أصحاب المهن والحرفيين كسواق التاكسي وباصات نقل الطلاب وغيرهم من أصحاب الدخل البسيط. فهم أول من تأثر بهذه الأزمة لأنهم يعتمدون في تسيير أمور معيشتهم على دخلهم اليومي.

ثالثا: إنه من المهم العمل على وضع آلية وإجراءات واضحة وشفافة للتأكد من حقيقة تأثر عمل كل شركة أو قطاع في هذه الفترة؛ وذلك للحيلولة دون حصول استغلال للبعض للتنفع على حساب المال العام.

مطالبة بسرعة تشكيل لجنة إعادة هيكلة الدعم الحكومي:

50 مليون ديناراً مجمدة.. والناس أولى بها

ذكّر عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل بوجود مبلغ يقدر بنحو 50 مليون ديناراً في الميزانية العامة للدولة، دون صرف واستثمار حتى تعاد هيكلة الدعم الحكومي، لافتاً النظر إلى أنه مضى أكثر من عام على عدم تشكيل هذه اللجنة، وهي ذات المدة التي ظلّ فيها هذا المبلغ المخصص للضمان الاجتماعي، مجمداً.

وتابع: يأتي ذلك في ظل حاجة ماسة لتحسين مستوى دخل الأسر البحرينية، والذي تضرر على نحو بالغ نتيجة رفع الدعم عن سلع وخدمات حكومية، ورفع الرسوم، وسن الضرائب.

ووجه زينل حديثه ناحية وزارة المالية والسلطة التشريعية بغرفتيها، داعياً لسرعة تشكيل اللجنة المعنية بإعادة الهيكلة، والعمل سريعاً أيضاً على بلوغ مرحلة التوافق بما يسهم في توجيه المبلغ إلى مستحقيه من البحرينيين.

أشباح «كورونا»

«كورونا» يكشف عاهات العالم

عدد من يموتون يومياً في مختلف بلدان العالم قبل انتشار فيروس كورونا، أو ما سبقه من فيروسات قاتلة يبلغ الآلاف لأسباب شتى، بينها التقدم في العمر والأمراض المزمنة والسرطانات وما إليها. ومع أن عدد من ماتوا ويموتون كل يوم، منذ أن أعلن عن اكتشاف كورونا، هو في تزايد للأسف، ولكنه، فإن عدد من ماتوا ويموتون في مختلف البلدان، خاصة منها كثيرة السكان، أو التي تعاني من الفقر وتدني الخدمات الطبية. فضلاً عن ضحايا الحروب المدمرة، أهلية كانت أو بين الدول، وضحايا المجاعات والقحط والكوارث الطبيعية كالفيضانات والحرائق وغيرها أكبر بكثير، لكنها لا تجد لها حيزاً كافياً في نشرات الأخبار.

د. حسن مدن

ليست الغاية التقليل من خطر «كرونا» الذي يجتاح البلدان، ويستنفر العالم كله لمواجهته، وتعمل المختبرات ليل نهار للوصول إلى لقاح يمنعه وعلاجات تشفي منه، ولكننا لا يمكن أن نغفل عن أن الماكنة الإعلامية العالمية، تساهم بحصة كبيرة في بث الهلع غير المسبوق جراء الفيروس.

ما هو جدير بالعناية هو ما فجّره، وسيفجّره، تفشي «كوفيد 19» من نقاشات عميقة حول مدى كفاءة النظم السياسية في البلدان المختلفة في التعامل مع تحد بهذه الخطورة، لم تعهد البشرية مثيلاً له منذ زمن طويل. ليس هذا فقط. تفشي الفيروس أظهر هشاشة الكثير من برامج الحماية الاجتماعية، وبشكل خاص الرعاية الصحية، التي بدت عاجزة عن تأمين ليس متطلبات مواجهة هذا التحدي فحسب، وإنما حتى توفير الحدود الدنيا من العناية بصحة الناس، فحيث تغيب الخدمات الطبية المجانية، اتضح أن أعداداً هائلة من البشر خارج التغطية الصحية التي عُهدت إلى شركات التأمين، التي تتعامل بمنطق المال والربح، لا منطق «الأنسنة».

على صعيدٍ آخر أظهر تفشي الفيروس ما نريد وصفه ب»هشاشة» العولمة. التي تتعرض اليوم تتعرض لاختبار حقيقي حول مدى صلابتها وقدرتها على تحدي الصعاب الماثلة. حتى الآن يجري الحديث عن فقدان الأسواق العالمية لمئات المليارات من الدولارات، وهبوط التعاملات في البورصات، وانكماش، لا بل وتوقف، حركة السياحة والسفر. وفي الأمر مفارقة جديرة بالوقوف عندها. أظهر «كورونا» من جهة إلى أي مقدار هو العالم قرية كونية بالفعل، ولكن هذه «الكونية» ليست بمنجاة من المخاطر الآتية إليها من أحد مراكزها أو أطرافها، ما كانت ستعرفها لو ظلّت مجرد قرية.

وكشف الفيروس أيضاً عن ضعف منظومة الاتحاد الأوروبي، وانكفاء كل دولة على نفسها، وانصرافها نحو تدّبر أمورها في مواجهة الفيروس منفردة، غير معوّلة على دعم من دول الاتحاد الأخرى. وتبدو مفارقة أن كوبا، الجزيرة الفقيرة المعزولة، المحاصرة من الولايات المتحدة ودول غربية أخرى منذ عقود، هي من ترسل طواقم طبية مؤهلة إلى إيطاليا لمساعدتها في مواجهة المحنة، ومثلها تفعل روسيا المطوقة بعقوبات الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو، حيث حملت تسع طائرات شحن عسكرية معدات وخبراء إلى إيطاليا للغرض ذاته.

ومع أن الأزمة ما تزال في بداياتها، كما يقول المختصون وصنّاع القرارعلى المستوى العالمي، إلا أن مطالبات آخذة في التزايد ، بما في ذلك في البلدان الرأسمالية المتطورة، بضرورة ردّ الاعتبار إلى دور الدولة في الرعاية الاجتماعية، وهو الدور الذي شهد ترجعات كبيرة في العقود الماضية، منذ أن أرسى الثنائي ريغان – تاتشر منهج التخلي عن هذا الدور، وإطلاق العنان حتى أقصاه لمنطق الخصخصة، وما ترتب على ذلك من تفشي سياسات ما يعرف بال"نيوليبرالية"، والترويج لمزاعم نهاية التاريخ بانتصار النموذج الرأسمالي الغربي.

لقد أظهر تفشي الوباء عجز الحكومات الغربية التي كانت تتباهى بقوتها وجبروتها على الصعيد الكوني، وعرى الكثير من الأوهام، ووجدت هذه الحكومات نفسها مضطرة للاقتداء بالنموذج الصيني في مواجهة الفيروس خلال فترة قصيرة نسبياً، وحصره في أضيق نطاق، وبعد أن أخذ بعضها يروج لما دعاه "مناعة القطيع"، كما فعل رئيس الوزراء البريطاني جونسون، الذي خاطب شعبه بشكل خالٍ من اللياقة، وينمّ عن إزدراء لحيوات الناس، خاصة الكبار في السِن منهم، حين دعا المواطنين للتهيؤ لفقدان أحبتهم، كأن ذلك قدر لا مفرّ منه، بدل أن يستنفر الجهود لحصر الفيروس ما امكن، لا تركه يتفشى من أجل تشكّل "مناعة القطيع"!

بالمقابل أظهرت آليات النظام الاشتراكي المعمول بها في الصين فعاليتها في التصدي للخطر، وهي التي وقف الغرب متفرجاً، وربما شامتاً، عليها حين اجتاح "كوفيد 19" إحدى أكبر مدنها، فما هي إلا أسابيع محدودة حتى رأى العالم كيف اجتازت الصين أكثر الوجوه خطورة في الأمر، فيما البلدان الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، تعاني من الارتباك والتخبط في مواجهته.

الخبير الروسي في الشؤون الصينية سيرغي بورانوك، أورد سبعة أسباب لنجاح الصين في ذلك، سنلخصها في التالي: الخبرة الضخمة في تعبئة المجتمع والاقتصاد والعلوم لمكافحة الخطر؛ الاستثمارالهائل في العلوم، بما في ذلك الطب؛ ثقة الناس في المسؤولين الذين فعلوا ما وعدوا به حقاً، كانجاز بناء مستشفيات مجهزة خلال أيام، ما جعل الناس يقبلون أقسى إجراءات الدولة؛ شفافية المعلومات المتصلة بالفيروس مع الداخل والخارج، دور أعضاء الحزب الحاكم الذين انخرطوا في العمل الميداني بكل تفاني؛ استخدام التقنيات الجديدة، بما فيها إلزام كل صيني بتنزيل تطبيق على الهواتف المحمولة، يعرض الحالة الصحية للأفراد، وهذا التطبيق مراقب ويحدد موقع كل شخص وحالته الصحية.

أما السبب الأخير، ولعله الأهم، فيكمن في استراتيجية العزل الشديد والصارم للمناطق المصابة.

ما لا يحظى بالتغطية الكافية هو ما كشف عنه تفشي «كارونا» من عاهات تنخر عالم البشر. بعضها ظاهر لا يتوارى أبداً، وبعضها كامن ينتظر الفرصة فقط لمعاودة التذكير بأنه «حي يرزق». ومن ذلك ما بات يشكو منه المهاجرون إلى البلدان الأوروبية، خاصة منهم ذوي الأصول الصينية والآسيوية، من نظرة التمييز والازدراء وتجنب الاختلاط بهم، مع أن الكثيرين منهم قد يكونوا ولدوا في البلدان التي يعيشون فيها، وأن صلتهم قد انقطعت فعلياً بالبلدان التي إليها تعود جذورهم، وشيء مثل هذا بدأ يفصح عن نفسه في بعض مجتمعاتنا على خلفيات طائفية ومذهبية.

ففي وطننا أخذت تطلّ علينا بعض الأصوات التي يجد أصحابها في الأزمات فرصة لترويج خطاباتهم الآسنة، حتى لو كانت هذه الأزمات انسانية صرفة، كتلك الناجمة عن "كورونا"، وراحت تبث سمومها الطائفية والفئوية، وتحرض على الفرقة، وعلى إزدراء الأخر المختلف في المذهب أو الرأي، والتحريض عليه، فيما الوطن والمجتمع في ظرف مثل هذا بحاجة لتضافرنوايا وجهود أبنائه وبناته المخلصين في مواجهة التحدي والتغلّب عليه.

أشباح «كورونا»

«كورونا» وأولوياتنا القادمة

فيروس «كورونا» الذي بات الشغل الشاغل لجميع دول العالم، دون استثناء، استطاع في غضون أقل من شهر أن يؤجل كل أولويات الدول والشعوب إلى حين الانتهاء نهائيًا من سطوته وما أحدثه من رعب لدى الجميع. هذا الفيروس اللعين والقادر، بحسب التحليلات العلمية المعلنة حتى الآن، على الانتشار بنسبة الضعفين، وربما أكثرعن فيروس الانفلونزا العادية، وعلى التحول ومقاومة العلاجات المتاحة بصورة تجعل منه خطرًا متعاظمًا على الجميع. حتى الآن أعلنت الصين، بؤرة انتشار الفيروس الأولى سيطرتها على وقف انتشاره، بفعل جدّية التعامل الرسمي والشعبي هناك مع هذا الخطر الذي يهدد الكيانات والدول دون رحمة.

عبد النبي سلمان

وفيما تغرق دول مثل إيطاليا وإيران وإسبانيا والولايات المتحدة وغيرها في مواجهة الآثار السلبية التي أحدثها، نجد أن هناك العديد من الحكومات والشعوب تقدّم مؤشرات ايجابية ونماذج متقدمة لكيفية التعاطي مع ما أحدثه ويحدثه من تداعيات على الرغم من قلّة خبراتها وضآلة مواردها، وفي وقت يتناسى العالم مؤقتًا العديد من بؤر التوتروالحروب والفتن كتلك التي دمرت اليمن وسوريا، ودولًا أخرى استبيحت فيها السيادة مثل فنزويلا وغيرها، وهي اوضاع هيأت لها على الدوام بعض الدول الكبرى والاستبداد العالمي المنفرد بناصية القرار الكوني، بعد انهيار النظام العالمي ثنائي القطب.

ونحن نحاول العبور جاهدين بأقل الخسائر الممكنة من هذه الأوضاع المهيأة جدًا لمزيد من التداعيات الجارفة التي لا نعرف بعد مآلاتها، والتي تتنبأ معظم الدراسات والتوقعات الاقتصادية والسياسية والبيئية من حولنا بأنها ستكون كارثية، وربما مدمرة لما تبقى من تماسك ممكن للنظام العالمي القائم، فإن ما يعنينا حقًا كشعب ودولة؛ في هذه الفترة المفصلية هو كيفية الحفاظ على وجودنا وكياننا وهويتنا ومقدراتنا بالحدّ الذي يبقينا أكثر صمودًا في وجه ما هو قادم إلينا بسرعة، وأن نتجاوز واختلافاتنا بالتفاكر والحوار والتوافق كشعبٍ في كيفية الحفاظ متحدين على ما تبقى لنا من خيارات قليلة.

ولعل أولى أولوياتنا هو التمسك بوحدتنا الوطنية والتركيز على ثوابتنا الجامعة التي تبقينا أكثر تماسكًا وتلاحمًا في وجه العواصف القائمة والقادمة أيضًا، فنحن كشعب وأمة لدينا رصيد حضاري وانساني لا يستهان به في قدرتنا على النجاح في تحديد خياراتنا اللاحقة، لكن ذلك يبقى رهنًا بقدرتنا أولًا على التمعن ببعد نظر أكبر مما هو قائم حاليا، ولعلّ اكثر ما يخيفنا، أفرادًا ومجاميع، هو تلك الدعوات المنفلتة أو التي سمح لها بالإنفلات من عقالها لممارسة جنونها والإفصاح مجددًا عن عقد النقص التي ابتليت بها، كما ابتلينا نحن كشعب بوجودها واستمرارها في العبث دون رادع في الضرب في وحدتنا وخياراتنا الوطنية.

هنا يمكنني القول إن بالإمكان تحجيم تلك الدعوات وحتى لجمها نهائيًا، لأن أمامنا ما يستحق فعلا التركيز عليه بشكل أكبر، دون السماح تحت أي مبررات بعودة العجلة إلى الوراء أو الاستخفاف بالمشاعر الوطنية أو حتى بالمضي أحيانًا في ذات السياسات والسياقات المرهقة من قبل أطراف وفئات أثبتت التجارب أن لها مصالح أنانية فردية وفئوية في الإستمرار في ذلك العبث إلى ما لا نهاية.

وعليه فإن أولى تجليات فهمنا لأهمية تعاملنا بشكل جديد مع ما يحوم حولنا من تحديات هو أن نبرز رفضنا التام لتلك الدعوات والممارسات المعيقة لمسارنا الحضاري، وضرورة لفظها شعبيًا ورسميًا والتأسيس لوعي وطني إيجابي ومغاير، وإعادة وضع الأمور في نصابها بطرق تكفل لنا جميعًا عودة التلاحم والوحدة توطئة لرسم خياراتنا المستقبلية بشكل يكفل تحقيق أقصى درجة من الرقي الحضاري الذي يجب أن يظهر للعالم أنه استفاد فعلا من تجارب المراحل السابقة، علاوة على ما أفرزته التجربة الصعبة التي نمّر بها حاليًا.

تلك مهمة لا تقبل التأجيل ولا حتى الابتزاز والتسويف من قبل طرف على حساب آخر، ولنتعظ مما تفرزه تجربتنا الوطنية الناجحة حتى الآن في مجابهة فيروس "كورونا"، وما استدعته من ضرورة الاعتماد بشكل أكبر على قدراتنا وطاقاتنا البشرية وامكاناتنا ومواردنا الكامنة، واستقلالية قراراتنا ووحدة مختلف القوى المجتمعية في مواجهة خطر داهم يتهددنا، حتى لا تبتلعنا خيارات الآخرين وأجنداتهم ولكي لا تضيع بوصلتنا الوطنية في متاهات العبث والتشظي دون طائل.

أشباح «كورونا»

أزمة «كورونا» من منظور عمالي

يحيى المخرق

منذ أن وصل فيروس كورونا كوفيد إلى البحرين، قامت الحكومة بالعديد من الخطوات التصاعدية لمنع تفشي الفيروس، ونبحث هنا بعض المواضيع المتعلقة بالوضع العمالي.

أولا: في جانب الصحة والسلامة المهنية

في القطاع الحكومي اتخذت الأجهزة الحكومية العديد من الاجـراءات الوقائية وقلصت من المراجعات، وتوجهت إلى تقديم الخدمات الإلكترونية، وفعلت العمل من المنزل والعمل بنظام التناوب في العمل بين المنزل ومقرات العمل، ويحسب للقطاع الحكومي وجود النص المنظم لمسألة العمل من المنزل.

بينما في القطاع العام قامت العديد من الشركات الكبيرة، وبالأخص المقدمة للخدمات والتي تهتم بسمعتها وصورتها العامة إلى جانب اهتمامها بموظفيها، وبالأخص اهتمامها بمواصلة العمل والانتاج بأخذ خطوات مماثلة للتي أخذها القطاع الحكومي، بل أن بعضها قام بخطوات أكثر من خلال تقسيم الموظفين على مجموعات، وتوزيعهم على مواقع مختلفة بالارتباط مع العمل من المنزل، حرصًا على صحة الموظفين من جهة، وعلى استمرار العمل من جهة أخرى.

ولكن أغلب المؤسسات في البحرين هي مؤسسات صغيرة ومتوسطة، لا تتوفر لديها الإمكانيات ولا الخبرات لأخذ مثل هذه الخطوات، بالإضافة إلى عدم اكتراث بعض أصحاب الأعمال بصحة وسلامة العمال والموظفين، فنسمع كل يوم قصصًا عن الإستهتار بصحة الموظفين في العديد من المواقع. وهنا يفترض أن تأخذ المؤسسات ذات العلاقة دورها الغائب لحد اللحظة؛ وأهمها وزارة العمل والتنمية الاجتماعية والنقابات والاتحادات النقابية. تجدر الأشارة هنا إلى أن القطاعات التي تعتمد بشكل كبير على العمالة المهاجرة هي الأكثر استهتارا بالوضع والأقل اتخاذًا للتدابير الوقائية. والأسوأ حالًا هم العاملون في المهن الحرة الذين يعانون الأمرّين في توفير لقمة عيشهم وكف حاجة عوائلهم، بل أصبحو يخاطرون بأنفسهم ولا يملكون الامكانيات اللازمة للوقاية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن العديد من الشركات الصناعية الكبرى بفعل عناد كبار مسؤوليها لا تقوم بأقل القليل من اجل المحافظة على سلامة موظفيها وهذا ما تشتكي منه نقاباتها الفاعلة.

ثانيا: تحمل رواتب المواطنين من صندوق التأمين ضد التعطل

ضمن حزمة الدعم التي أعلنت عنها الحكومة، وشملت تحمّلها لفواتير الكهرباء والماء والرسوم البلدية وإيقاف استقطاع القروض على الشركات والمواطنين لمدة ستة أشهر، إلى جانب تحمّل تكلفة رواتب المواطنين في القطاع الخاص لثلاثة أشهر، إلا أن المفاجئ (ربما لا يجب أن نتفاجئ) أن تمويل دفع الرواتب سيكون على حساب العمال أنفسهم. فأعلنت الحكومة أن هذا التمويل سيكون من خلال صندوق التأمين ضد التعطل (وللتذكير فإن العمال يساهمون في الصندوق ب1٪ من رواتبهم، ويدفع مثلها أرباب العمل والحكومة ويقوم الصندوق بتقديم اعانات التعطل عن العمل للمفصولين تعسفيًا والباحثين عن عمل).

في الأصل نرفض المساس بأموال العمال، وأيضًا تجب الإشارة إلى الحاجة لإشراك العمال في ادارة الصندوق ذاته، ولكن في هذا الوضع الإستثنائي وفي ظل تردي الوضع الاقتصادي، وعندما يكون الهدف المحافظة على العمالة المحلية من التعرض للفصل من العمل، فإن الأولى أن نقبل بهذا التوجه كحل يُبعد العمال عن البطالة، وكخطوة وقائية واستباقية بدلا من التعامل مع النتائج التي لا يختلف اثنان على وضوح ملامحها.

إلا أن الواقع المنظور يوضح بأن هناك العديد من القطاعات لم تتأثر من الوضع القادم، بل بالعكس أن بعض القطاعات مستفيدة بشكل كبير من الهلع الجماعي والتوجه إلى التخزين والشراء خوفًا من المجهول. فكيف يمكن أن يتم دعم المتضرر والمنتفع في ذات الوقت؟ ومن جانب آخر يجب أن تكون هذه المبادرة مربوطة بحماية العمال من الفصل فعلًا، من خلال تضمين القانون الذي أرسلته الحكومة لمجلس النواب نصًا يلزم أصحاب العمل المستفيدين بعدم فصل المواطنين خلال العام الجاري، وإلا استرجعت الحكومة كل مبالغ الدعم أو ربما مضاعفة وقتية لتعويض الفصل التعسفي تمتد لنهاية العام، وإلغاء مادة الفصل الاقتصادي في قانون العمل.

ولكن، هل فعلًا هذا الدعم موجه للعمال؟ أم أنها طريقة ذكية من الحكومة لتمرير دعم للتجار تحت عنوان شعبي وجماهيري من الصعب معارضته أو رفضه.

وحتى كتابة هذا المقال (الثلاثاء 24 مارس) كان يفترض أن يعرض مشروع القانون بشكل مستعجل على مجلس النواب في جلسته المنعقدة بذات اليوم، حسب ما أعلن ضمن قرارات اجتماع مجلس الوزاء (الأثنين 23 مارس)، ولم يقدم أحد اي تفسير لعدم ادراجه على جدول أعمال جلسة مجلس النواب اليوم، فلا نعرف إن كانت رئيس مجلس النواب أوقفته، أم أن الحكومة طلبت عدم ادراجه، أو أنه لم يصل إلى مجلس النواب خلاف المعلن؟

ثالثا: هل سيستلم العمال رواتبهم؟

واضح كوضوح الشمس أن العديد من القطاعات تضررت بشكل كبير جدًا، وأهمها القطاع السياحي من فنادق ومطاعم ومقاهي وقطاع التجزئة وغيرها من القطاعات، وبدأ أصحاب الاعمال في اجبار العمال على أخذ اجازة اجبارية أو إجازة بدون راتب، أو اخطارهم بعدم دفع رواتبهم حتى إشعار آخر. فأين وزير العمل والشؤون الاجتماعية عن مهامه، وأين الاتحادات النقابية عن التفاوض على المستوى الوطني؟ أم أن حقوق العمال والعمالة المهاجرة للتنظير في قاعات الفنادق؟

وتجدر هنا الإشارة والإشادة بمقترح النائب الرفيق سيد فلاح هاشم في مجلس النواب بإلزام أرباب العمل بتحويل رواتب العمال إلى حساباتهم في المصارف والذي رفضته الحكومة تحت حجة صعوبة تحققه، وبعدها رفض النواب له بناء على رأي الحكومة، بينما لو تمّ تطبيق المقترح لاستطاعت الوزارة معرفة العمال المتضررين وأخذ الإجراءات لحمايتهم وحماية حقوقهم.

رابعا: حقوق المصابين والمحجورين احتياطيا سواء في الحجر الطبي أو المنزل

إن قرار الحجر الصحي قرار يتخذه الطبيب المختص، سواء في الحجر الطبي ام في المنزل حماية للمجتمع ككل ولمكان العمل أيضًا، فلا يجوز أن يتم تهديد العمال بخصم الإجازات أو اقتطاع الأجر، أو حتى الفصل من العمل بل يجب التحلي بالمسؤولية الوطنية والأخلاقية التي توجب دعم المصابين والمحجوزين. ولدينا من الشكاوى الكثير، ولو سمح لنا أصحابها كنا نشرناها هنا لولا الخوف عليهم من الفصل من العمل، وهم يرضون بمثل هذه القرارات التعسفية على مضض لعلمهم أنه لا يوجد من يحميهم.

ختاما؛ اتمنى من وزارة العمل والنقابات والأتحادات النقابية أخذ دورهم المطلوب كما يجب على العمال انفسهم الألتزام بتعليمات الصحة والسلامة واتمنى ان تفلح الجهود المجتمعية في القضاء على هذه الجائحة ويرجع الاستقرار لبلدنا ولكل العالم.

أشباح «كورونا»

كيف عرّت «كورونا" الرأسمالية المتوحشة

رضي السمّاك

منذ زوال نظام القطبية الثنائية قبل ٣٠ عاماً، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، بانهيار الأول وتفرّد الثانية تقريبا بالهيمنة الدولية، وعلى مدى مائة يوم ونيف خلت منذ أن اُكتشف فيروس « كورونا" المعروف ب "كوفيد – ١٩" في مدينة ووهان الصينية أواسط ديسمبر الماضي لم تُمتحن أخلاق الرأسمالية في طورها المتوحش المتعولم خلال الثلاثة عقود الماضية وتتعرى أنانيتها؛ ناهيك عن جشعها النهم للأرباح، كما اُمتحنت وتعرت أمام العالم أجمع؛ فقد بات واضحاً للأسرة الدولية بأسرها عدم توّرعها عن توظيف الأزمة الصحية التي ما برحت البشرية تعاني منها لخدمة مصالحها الأنانية الضيقة، وذلك بعد أن أخذ الوباء في التفشي سريعاً في معظم أرجاء كوكبنا الأزرق. والمؤسف أن ذلك يحدث في عالمٍ بتنا نصطلح على تسميته « القرية الكونية" بفضل التطور الهائل في وسائل المواصلات والاتصالات.

لسنا بطبيعة الحال مع أصحاب "نظرية المؤامرة " الذين أعتادوا على توجيه أصابع الاتهام أتوماتيكياً أو جزافاً إلى إلولايات المتحدة المتحدة باعتبارها بؤرة الشر المطلق في العالم، وبأنها من تقف وراء زرع الفيروس في الإقليم الصيني المنكوب، لا سيما وأن القيادة الصينية نفسها كانت وفي أوج محنة شعبها منصرفة عن الرّد على الحملة النفسية التشمتية الشعواء التي كانت تقودها واشنطن بصفة خاصة وحلفاؤها الغربيون عامة تجاه بكين، بينما كانت هذه الأخيرة مشغولةً بقيادة شعبها في معركة وجوده المصيرية لمكافحة الفيروس القاتل ذي القدرة على الإبادة الجماعية البطيئة؛ وفقط بعد ما لاحت بوادر ملموسة بتكلل حربها على الوباء بالانتصار في أواسط شهر آذار/ مارس الماضي لمّح المتحدث بإسم الخارجية الصينية تشاو ليجيان – بشكل غير قاطع – بأن الجيش الأميركي قد يكون وراء زراعة الفيروس في "ووهان" .

وفي الوقت الذي كانت فيه ماكينة الحرب النفسية الغربية على الصين منفلتة من عقالها، فيما هذه الأخيرة تواجهه الوباء القاتل وحدها، كان من اللافت والمثير للدهشة والاستغراب مواقف تلك الدول الرأسمالية الغربية التي بدت مطمئنة تماماً بأنها ستظل بمنأى عن الوباء إلى الأبد حتي وهي تعيش في عالم تقلصت فيه أطول المسافات من أقصى المعمورة إلى أدناها، وباتت تُعرف – كما ذكرنا – بالقرية الكونية.

ومع أن وسائلها الإعلامية، وعلى رأسها الاميركية، أخذت تتنافس في التباهى بأسبقيتها في تذكير العالم بتنبؤها المسبق بظهور فيروس كورونا في الصين، سواء عبر صحفها أو من خلال أفلام هوليودية اُنتجت بهذا الخصوص مطلع العقد، بينما أنفرد بعدئذ الرئيس الاميركي دونالد ترامب بنعته ب"الفيروس الصيني" وظل متمسكاً به رافضاً التراجع عنه، غير آبه باحتجاج الصين، ولا باعتراض منظمتي اليونسكو والصحة العالمية على هذا الوصف لما ينطوي عليه من دلالة عنصرية، كانت ثمة أقلام معتدلة ومواقف شجاعة من داخل الدوائر الإعلامية والسياسية الغربية والاميركية اليمينية تمجُ ذلك الخطاب المهووس والهذيان المنفلت في تلك الحرب النفسية اللذان تجاوزا كل الحدود والمعايير الأخلاقية الإنسانية، وتحذّر أيضاً من وهم انحصار الكارثة في البر الصيني والاطمئنان الواهم بعدم تمددها إلى داخل الدول الغربية، بما فيها الولايات المتحدة، وهو ما حدث.

وعلى سبيل المثال فإن الكاتبين الأميركيين ديلان بوشير وليزا كريغر دحضا بقوة في تقرير لهما معززاً بالأسانيد العلمية نشرته "تربيون ميديا" الخرافات التي رُوجت إبان تلك الحرب النفسية المستعرة على الشعب الصيني والرامية لاحتقاره والحطّ من حضارته وثقافته الغذائية بأن حساء الخفافيش الذي يقبلون عليه في وجباتهم هو المسؤول الأول عن نقل الفيروس التاجي الجديد، لا سيما إذا ما عُلم بأن أكثر من 200 من الفيروسات التاجية الأخرى بإمكانها نقل العدوى إلى مختلف الحيوانات، لا الخفافيش وحدها، أو الثعابين والقطط والكلاب كما قيل، علماً بأن مثل تلك العادات الغذائية مستوطنة ومعروفة ليس لدى الصينيين وشعوب شرقية مجاورة منذ مئات أو آلاف السنين فحسب، بل ولدى شعوب عديدة في إفريقيا وآسيا وحوض المحيط الهادئ.

وإذا كان من السابق لأوانه القطع بوجود أيادٍ خفية في زرع الفيروس في مدينة "ووهان" فإنه من الثابت، حتى الآن على الأقل، بأن تلك المواقف للدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، ظلّت طوال الأزمة الصحية التي مرّت بها الصين والعالم تتسم باللامبالاة والتفرج المثيرين للريبة؛ لا بل لم تتورع شركاتها عن استغلال الأزمة بعد أن طاولت بلدانها لتوظيفها في ترويج سلعها الدوائية والعلاجية، والمضاربة في أسعارها جراء شحّها من الأسواق الناجم عن تداعيات الأزمة، ناهيك عن تسابقها المحموم للتفرد بالوصول إلى اللقاح الناجع الذي يعطيها حق احتكاره.

والحال فمن الثابت والموثق تاريخياً أن ذلك السلوك المريب الذي مارسته وتمارسه الدول الرأسمالية المتقدمة حيال تفشي وباء كورونا، كما تابعنا، غير مقطوع الصلة تاريخياً بدورها الاستعماري الإجرامي في نشر الأوبئة بين شعوب بلدان مستعمراتها السابقة قبل تحررها ونيلها استقلالها، وذلك بغية تكريس هيمنتها عليها، وهي ما انفكت إلى اليوم تواصل لعب هذا الدور القذر في مرحلة مابات يُعرف ب "الاستعمار الجديد" وعلى رأسها الولايات المتحدة، وإن استبدلت (أي الدول الاستعمارية السابقة والولايات المتحدة) الأساليب والأشكال والطرق القديمة بأساليب وأشكال وطرق جديدة أكثر خبثاً ومكراً.

وفي كتابه "رأسمالية الكوارث" يكشف لنا الباحث الاسترالي أنتوني لوينشتاين جوانب من تلك الطرق والأساليب التي مارستها وتمارسها الرأسمالية المتوحشة والتي تكشف وجهها القبيح ودورها الإجرامي في تلويث الكوكب الأزرق مما أفضى إلى تحوّله إلى بيئة كونية خصبة لتفشي الأوبئة العالمية من على أي بقعة من العالم قد تكون بؤرة لهذا الوباء أو ذاك الوباء ليتحول إلى جائحة عالمية على نحو ما نتابع فصوله المؤلمة الراهنة لفيروس كورونا (كوفيد – 19).

ولا يعني ذلك بأننا نعفي الصين من أي مسؤولية في هذا التلوث العالمي، إلا أن حجم نصيبها لا يُقارن البتة بأي حال من الأحوال بأحجام الدول الرأسمالية مجتمعةً. بيد أن الرأسمالية المتوحشة لم تتوانَ عن توظيف الكوارث الطبيعية التي تبتلي بها الشعوب المستضعفة، فضلاً عما تُبلى به من حروب وصراعات تسببت هي – الرأسمالية – في خلقها للتربح منها ومواصلة نهبها الممنهج لخيراتها ومواردها واستنزافها على أيدي شركاتها الكبرى والمتعددة الجنسية.

وبالرغم من أنه لم ينقضِ من عامنا الجاري الجديد سوى ربعه؛ إلا أن كل المؤشرات تقطع بأننا نعيش عاماً مفصَلياً تاريخياً بمعنى الكلمة، ستكون له آثار وتداعيات بعيدة المدى والأثر فور انقشاع الكارثة كما هو مؤمل مع نهاية العام كأقصى حد، وذلك لما فعلته جائحة "كورونا" من هزة عالمية طاولت شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في معظم دول العالم، أقواها وأضعفها على السواء، وعرّت خلالها الدور الإجرامي القذر للرأسمالية المتوحشة والأنظمة التابعة لها خلال ثلاثة شهور فقط من اكتشاف الفيروس كما لم تعرها من قبل على مدى ثلاثة عقود خلت منذ انهيار الاتحاد السوفييتي والتسويق لمقولة "نَهاية التاريخ" بتسيّد النظام الرأسمالي لفوكو ياما أو نهاية الفكر الإشتراكي!.

أشباح «كورونا»

بصراحة

وباء كورونا .. وباء الطائفية

كشف وباء كورونا عن واقعٍ مؤلم في بلادنا وبعض البلدان العربية، بأن الوعي والثقافة في تدنٍّ وبالأخص لدى مَن يدَّعي الثقافة أو يحسب نفسه على النخب المثقفة، والبعض منهم يعمل في الإعلام والصحافة وفي مناصب رسمية رفيعة، في تصريحاتهم وكتاباتهم المشحونة بالغث والسمين للإثارة الطائفية والفرقة، وإنْ كانت هذه بضاعة قديمة لدى البعض منهم في بلادنا، ظلّ من خلالها يشحن جيبه بالمال والعطايا، منذ أحداث فبراير / مارس ٢٠١١، تلك الجوقة لازالت تعزف نفس الألحان الطائفية لتشقّ المجتمع وتشوّه سمعة بلادنا، ولكن السؤال هنا: لماذا يُسمح لهم بأن يستمرّوا في غيّهم وفعلهم المشين دون أي رداعٍ لهم أو مساءلتهم القانونية.

تقول المادة 23 من دستور مملكة البحرين (حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة، ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو غيرهما، وذلك وفقاً للشروط والأوضاع التي يبينها القانون، مع عدم المساس بأسس العقيدة الإسلامية ووحدة الشعب، وبما لا يثير الفرقة أو الطائفية). إن الجزء الأخير من المادة واضح، مع ذلك رأينا كتابات صحفية وفيديوهات انتشرت في وسائل التواصل الاجتماعي تمسّ بوحدة الشعب وتثير الفرقة والطائفية في البلاد، فهل قُدم من قام بالفعل المخالف للمادة الدستورية للمساءلة القانونية؟

نستطيع تعريف ثقافة الكراهية بأنها تقوم على إقصاء وإلغاء الآخر المخالف في الفكر والرأي، وتخلق حالة من التنافر والتصادم وتشقّ الوحدة الوطنية في المجتمع وتشجع على الغلو والتطرف والتعصب، كما يصل الأمر بالبعض حدّ تكفير بالآخر وتخويه.

تنصّ الفقرة 2 من المادة 20 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على (تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف).

والمنتظر من أي دولة تريد أن تتصدّى لدعوات الكراهية والتمييز بأن تصدر قانونًا يجرم الكراهية والتمييز، فمن جهة تلتزم الدولة بالمادة المذكورة أعلاه، ومن جهة أخرى تحافظ على اللحمة والوحدة الوطنية و تعزز من روح الوئام والتآخي الوطني والتسامح والتعايش بين أفراد الشعب، ولا تسمح لتلك الجماعات أو الأفراد العبث بالوحدة الوطنية تحت أي ذريعة ومبرر كان، وأن يكون القانون هو الفاصل في تلك القضايا المليئة بالكراهية والأحقاد .

تنشأ ثقافة الكراهية والسلوك غير السوي في المجتمع بسبب الشخصيات المأزومة ومن يعيشون

فاضل الحليبي

على حساب الآخرين سواء لمصلحة نفعية أو ترزّق أو حقد دفين أو تعصب مذهبي في أنفسهم تجاه المكون أو العرق الآخر، وأهدافهم دنيئة هي شقّ الصف الوطني والعمل على إشاعة الأحقاد والكراهية في المجتمع مستفيدين من وسائل التواصل الاجتماعي لبث تلك السموم ونشر القاذورات الكريهة لتعكر أجواء المجتمع الواحد .

تواجه بلادنا والعالم كله اليوم وضعًا غير طبيعي بسبب "كورونا"، الذي أعلنت منظمة الصحة العالمية في يوم الأربعاء 11 مارس 2020، بأنه وباء عالمي، يتطلب تكاتف الجهود الرسمية والشعبية للتقليل من خطورته وانتشاره في بلادنا، وفي هذا المقال نحيي الجهود الكبيرة التي تبذل من قبل الفريق الطبي (أطباء/ ممرضين/ مسعفين/ متطوعين وغيرهم)، حيث يقدر لهم ذلك العمل الوطني والإنساني الرائع الذي يقومون به في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به بلادنا والعالم.

وعلى النقيض من ذلك نجد موقف بعض أعضاء مجلس النواب غير الواضح منذ بداية التصدي لذلك الوباء – الكارثة، فتارة يقدمون اقتراحات ورغبات عديدة تدخلهم في مطبات يصعب على البعض أحياناً الخروج منها، أما الطامة الكبرى فكانت صدور بيان من 18 نائباً بتاريخ 11مارس 2020، يرفض عودة المواطنين العالقين في إيران من العودة إلى وطنهم، لأنهم سوف ينشرون وباء كورونا، فهل هؤلاء النواب لا يعرفون بأن الدولة مسؤولة عن مواطنيها في الداخل والخارج، وهل القادمون من الدول الأخرى وبعضها فيها الوباء لن ينشروه؟ فلماذا الكيل بمكيالين، وهناك العديد من الدول العربية والأجنبية تعاطت مع الموضوع بإيجابية وجلبت من كان عالقاً في الخارج من مواطنيها، سواء كانوا أصحاء أو مرضى مصابين بوباء كورونا في بادئ الأمر، فهل ننتظر أن يتفاقم وضعهم الصحي إلى الأسوأ؟

وبسبب تأخرّ الدولة في إجلاء المواطنين العالقين من العودة اضطرّ البعض منهم لدفع مبالغ كبيرة لشراء تذاكر جديدة والعودة من خلال رحلات سفر طويلة استغرقت أكثر من 24 ساعة في 20 مارس 2020 ، ونأمل بأن لا يتكرر الأمر مع آخرين من المواطنين العالقين في إيران منذ أكثر من شهر، بأن تسارع الحكومة بإجلائهم في أقرب وقت لكي لا يسوء وضعهم الصحي، فهناك كبار في السن وصغار، ويتعين تخصيص أماكن لهم (مستشفيات أو مراكز صحية)، (الحجر الصحي الاحترازي) وإجراء الفحوصات الطبية، وهذا نأمل أن يتحقق في القريب العاجل.

مثلما نجحت الصين قيادة وشعباً في التصدي لوباء كورونا، سوف تنجح البشرية في الانتصار على هذا الفيروس كورونا بإرادة الإنسان وبحثه العلمي المستمر لإيجاد الدواء المضاد له.

أشباح «كورونا»

«كـــورونـــــا»:
حكم الضعيف على القوي

هذه تأملات في الجائحة الجديدة المستجدة التي اجتاحت العالم في غضون الشهرين الماضين وتسببت في خسائر اقتصادية وتحولات اجتماعية وسلوكية هائلة، وأحالت البشر إلى كائنات خائفة ومرعوبة ومستريبة وفاقدة للثقة في الحاضر والمستقبل، والسؤال هو: هل كان العالم أفضل قبل كورونا؟ ثم هل سيكون أفضل بعد كورونا؟ بمعنى أن التغيير الذي أحدثه سيرافقنا حتى بعد انتهاء الجائحة واستعادة حياتنا الطبيعية؟

عصمت الموسوي

إن العالم الذي نعرفه دومًا يبدو مستقرًا وراكدًا وهادئًا وسائرًا بكل سلاسة نحو أهدافه وغاياته ومتسقا مع الثوابت والتشريعات والأعراف السائدة في حقول السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والبيئة والتربية والعلاقات الإنسانية، والتي ارتضاها الانسان ذاعنا وصاغرا ومرغما دون تفكير ودون نقا ، فنحن ومنذ زمن طويل داخل القفص، أو الفخ، المنصوب لنا بعناية كما اسماه وعرفه وشرحه المفكر آدم كرتيس في سلسلة أعماله الشهيرة المكتوبة والمرئية (the trap) ، وأكبرها فخ الديموقراطية والحريات وحقوق الانسان وشعارات العدالة والمساواة والمشاركة في صنع قراراتنا ومصائرنا، وكل تلك المبادئ التي جرى الانقلاب عليها وتهميشها وعرقلة مسارها الصحيح في كل مكان في العالم، وضمن هذه المنظومة المحكمة تمّ اغلاق الأبواب والنوافذ على كل رياح التغيير القادمة من أي صوت مغاير ومختلف في كل مكان في العالم .

لماذا التغيير ما دمنا نعيش في أفضل العوالم الممكنة وإن كانت مصطنعة؟

هل شاهد أحدكم فيلم عرض ترومان؟ يحكي الفيلم الذي قام ببطولته جيم كاري وأنتج عام 1998 عن برنامج تلفزيوني يشاهده العالم، أما بطل البرنامج فهو آخر من يعلم، وحين يستيقظ ويدرك اللعبة وأنه محاط بالكاميرات التي ترصد حركته وتسيطر عليه تمامًا منذ لحظة استيقاظه إلى أن يغمض عينيه، يفرّ هاربًا من ميدان المراقبة ومن حياته المصطنعة، فيلاحقه المخرج ويتوجه إليه بسؤال فلسفي مهم يلخص مغزى الفيلم: إلى أين تريد أن تذهب، لقد كنت سببًا في سعادة المشاهدين، ولقد خلقت لك عالمًا أفضل وأجمل من العالم الحقيقي الذي كنت ستعيشه، فلماذا تريد التمرد عليه؟

سيطر الإعلام الكوني الموجه على أدمغة البشر، وأقنعهم في ظرف شهرين أنهم مهددون بالفناء، عزل الناس انفسهم خوفًا ورعبًا، وفرض الأمن سيطرته تحت مسمى حالة الطوارئ والسلامة الوطنية، لكن العزلة الأكبر كانت لمن يطرح السؤال المغاير، لمن يناقش ويستفسر ويربط ويحلل، من يجرؤ على قرع الجرس أو الاحتجاج أو الاعتراض سيجد نفسه أيضًا وحيدًا وربما منبوذًا وموضعًا للسخرية، وربما للمساءلة الأمنية وتشويش العامة والاستخفاف بالمحظورات الصحية، فالآلة الإعلامية الضخمة الواقعة تحت سيطرة القوى العظمى هي من يدير اللعبة من ألفها إلى يائها وحتى المنظمات الدولية التي يفترض بها النزاهة والصدّقية لم تخلُ من شبهات الفساد وتضليل الناس والإنحياز لشركات الدواء والتكنولوجيا.

وكي لا أسترسل في التفكير وفق نظريات المؤامرة، أطرح السؤال من منظور آخر: إذا كان «كورونا» جائحة حقيقية وليس لعبة خبيثة ذات مرام وأهداف أبعد من تصورات البشر الواقعين تحت السيطرة الإعلامية الكونية، فإن هذا الوقت هو الأنسب للتفكّر والتأمل وللبدء في التغيير والإصلاح؟

لقد فتكت الأوبئة والأمراض بالبشرية في الأزمان المظلمة الغابرة، ولكن ليس في الزمن المعولم الذي وعد البشرية بالجنة العلمية والتكنولوجيا المريحة والصحة والجمال والعمر المديد، فهل زاد الماء على الطحين، كما نقول في أمثالنا ففسد كل شيء وانهار؟ وأدرك الجميع أن ما صنعناه من بيئة فاسدة وأرض يباب خربة وعلاقات مختلة يوشك أن يغرقنا جميعًا، ألسنا في مركب واحد؟ من هم الناجين من هذه الكارثة بعد أن ساوى «كورونا» بين البلدان المتخلفة والبلدان المتطورة، الفقراء والأغنياء، المشاهير والمهمشين، الباقي هو العبر المستخلصة.

أول درس من «كورونا» هو أن البشرية تغرف من نبع واحد، وتنتهي إلى مصب واحد، وإن ما نشاهده من اختلافات إن هي إلا أمور مصطنعة ومفبركة وغير طبيعية ونتاج التربية الخاطئة والإعلام الموجه. في جملة قرأتها ذات مرة، فإن كل الكائنات الحيّة على الأرض تكبر وتنمو لتكون ذاتها عدا الانسان ينمو ويكبر ويتعلم ويتربى لكي يكون شيئًا آخر لا صلة له بأصله وفصله وانسانيته.

درس "كورونا"، المنتشر والمتطاير سريعًا في أي مكان يهدد الصحة في كل مكان، الأول والأخير: لكي تنتشل نفسك يجب ان تنتشلني معك، وأي بلد مصاب سواء كان قريبًا أو بعيدًا يشكل خطرًا على الجميع في ظل كوكبنا الذي تحوّل بفعل العولمة إلى قرية كونية نتشارك فيها جميعًا.

ان العودة الى العالم المتشابك المترابط الذي كنا نعرفه قبل «كورونا» لن يكون ممكنا دون الاستحقاق الإنساني الذي تأخر طويلًا، وهو إرساء مبادئ العدالة والسلام والرحمة والتضامن والمساواة والمسؤولية والتشارك الحقيقي في السرّاء والضرّاء.

أشباح «كورونا»

«كورونا» في الزمن الرقمي

كلما حلّت علينا المصائب استغلّ تجّار الدين الفرصة للتسويق لأفكارهم الظلامية، إذ ما أن بدأ فيروس كورونا بقطع الحدود الصينية منتشرًا بين الدول، حتى سارع البعض للاستخفاف بالإجراءات الوقائية المقترحة من وزارات الصحة وتحدّيها.
كما ظهر أنصار النقاب مجددًا إلى الواجهة مدعيّن أنه الحل الأنسب لمحاربة الفيروس، وأن اللّه نصرهم وكسر أنف الكفار بإجبارهم على التّنقُّب، وهذه نماذج تلامس فئة معينة من البشر، يعتقدون أن الدين، بدون وقاية أو علاج أو اتباع الإرشادات الصحية، كاف لمواجهة حتى الأمراض المعدية، فقد أخبرتني صديقة لبنانية مسيحية أن الإقبال على صور "مار شربل" يتزايد في حالات المرض وظهور أوبئة كهذه، مع صور قديسين آخرين، كما يدعي البعض بظهورات العذراء مريم في مناطق معينة لرفع معنويات الناس، فالإنسان من شدة ضعفه يتمسك بأي شيء يُشعِره بالأمان.

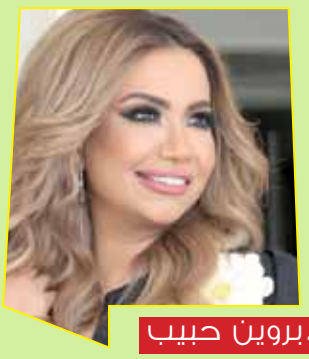

د.بروين حبيب

أطلّ أطباء مختصون في الأمراض المعدية وأكّدوا أن الكمامات ليست آمنة تماما، ما جعل جماهير بأكملها تنسحب من الشوارع وتعتكف في بيوتها تفاديًا لأي احتكاك بمصابين. مما تسبّب في خسائر جمّة لصالات السينما، والملاعب، والأسواق المغلقة، والمسارح. كما ألغيت مهرجانات سينما، وفعاليات تلتقي فيها جموع من أهل الفن والأدب، وبالمقابل ارتفعت أرباح العملاقين «أمازون» و«نتفليكس»، وازداد إقبال الناس على قراءة الكتب، بشكل ملحوظ، فقد سُجّل ارتفاع نسبة مبيعات كتاب «الطاعون» لألبير كامو، بحيث قفز من المرتبة الواحدة والسبعين إلى المرتبة الثالثة على سلم المبيعات في إيطاليا، حسب جريدة "لاريبيبليكا"، كما قفزت رواية ساراماغو "العمى" إلى المرتبة الخامسة، لكن هذه المبيعات سجلت عبر موقع أمازون، أما النسبة الأعظم من المبيعات فقد كانت من نصيب مواقع رقمية.

بالنسبة لرواية كامو "الطاعون" فهي، حسب مراجع كثيرة، وليدة مخيلته، أمّا كيف خطرت بباله فكرتها فهذا يبقى حبيس الكتب باللغة الفرنسية، وبعض الترجمات العربية القليلة المتوفرة في بلاد المغرب العربي، لعلّ الجزائر أهمها، كون الكاتب جزائري الهوى والقريحة، فكل فضاءاته المكانية تعيدنا إلى المدن التي عاش فيها في الجزائر، مثل مدينة وهران التي ألهمته بتفاصيل هذه الرواية العظيمة، رغم أن محفوظات البلديات والمستشفيات فيها خالية إلى حد كبير من ادعاءات أي طاعون في أربعينات القرن الماضي، بحيث أن آخر مرة ضرب فيها الطاعون المدينة كان إبان الإحتلال الإسباني في القرن الثامن عشر. لكن عبقرية الكاتب برزت في جمعه لشخصيات متنوعة بين الديني والعلمي والإنساني، إنها الأدوار نفسها التي نراها تبرز اليوم في زمن الكورونا، كموقف الكاهن الذي فسّر الطاعون على أنّه لعنة إلهية يستحقها الناس لابتعادهم عن الرب، لكن حين يصاب القريبون منه بالمرض، يتغيّر خطابه في عظته الأخيرة، فيستعمل ضمير "نحن" مبعدا فكرة اللعنة، قبل أن يصاب هو الآخر ويموت. تنتهي الرواية باختراع المصل المنقذ، لكن كامو الشهير بعبثيته لا يكتفي بهذه النهاية السعيدة، بل يتركنا في صدمة أمام موت زوجة برنار ريو الطبيب الإنساني الذي تفانى من أجل مساعدة الجميع، والتي توجهت لفرنسا للعلاج من الطاعون، فتموت بمرض السل!

في رواية خوسيه ساراماغو نقرأ عن الحجر الصحي في مكان معزول لمرضى أصابهم العمى بشكل غيرً مفهوم، ينتقل من شخص لآخر بمجرد النظر. في الحجر تروي زوجة الطبيب المصاب مثل البقية ما تراه بعد أن تدعي أنها مصابة بالعمى هي أيضًا، تروي فظاعات الإنسان التي يمارسها ضد بني جنسه، من ابتزاز يصل حد الإستنزاف التام لكل القيم السامية. لا هوية مكانية – زمانية للرواية، فقط تسليط الضوء على فقدان المبادئ المتحضرة للبشر، وكيف يتحولون إلى وحوش من أجل بقائهم على قيد الحياة، وواضح جدًا أن الكاتب بنى فكرته العظيمة هذه على مدى ترابط المبادئ الإنسانية بقوة البصيرة، لا قوة البصر.

هذا مختصر لروايتين حققتا مبيعات ساحقة مؤخرا، وقد أشرت في مقال سابق قريب إليهما، قبل معرفتي لأخبار تصدرّهما المبيع عالميًا خلال الشهر الأخير.

جاء كورونا ليدعم انتصار القارئ الرقمي على القارئ الورقي، بعد أن أصبحت عملية الخروج من البيت والتوجه للمكتبة واختيار كتاب مغامرة فيها الكثير من المخاطر، وبعد أن أصبح العدو الذي يتهددنا غير مرئي، فقد أثبتت الدراسات أن أكثر الأشياء الناقلة للفيروس هي النقود، ثم الكتب في المكتبات، كونه يعيش ثلاث ساعات على الأسطح، وكون قُرّاء الكتب كثيرا ما يُقلبون صفحاتها بأصابعهم المبللة بلعابهم بعفوية ودون انتباه.

إننا في زمن دونكيشوتي غريب نحارب فيه جميعًا طواحين

أشباح «كورونا»

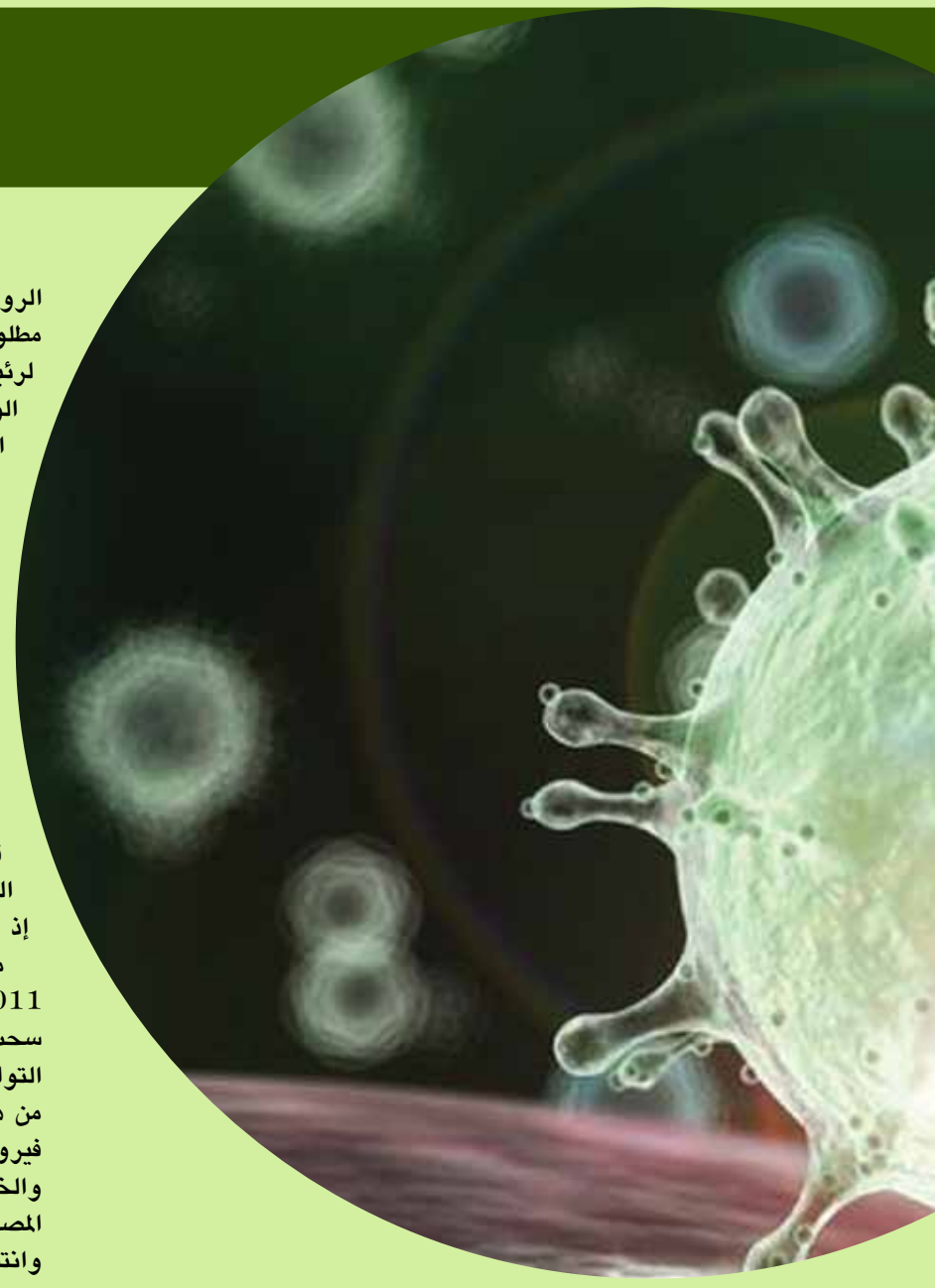

الرويات التي تصدّرت المبيعات في أوروبا. إذ أنها ظلّت دومًا مطلوبة بين المئة رواية الأولى. أما عربيًا فبعد تصريحات متفائلة لرئيس اتحاد الناشرين العرب بسبب ارتفاع نسبة مبيعات الكتاب الورقي، عقب انتهاء معرض الكويت، وبروز جيل من القراء الشباب المتميزين بوعي لافت، هاهي الكورونا تعيد القارئ العربي بقوة للكتب المقرصنة، المنتشرة على شكل pdf عبر مواقع لا تعد ولا تحصى، وهذا يصعب معرفة نوعية الكتب المقروءة في هذه الفترة، ولكنه يسجل ركودًا واضحًا في سوق الكتاب الورقي.

لكأن الأرض توقفت عن الدوران فجأة، فتغيّر سلوك الناس، على غير توقع نحو الأفضل في مواضع وفي أخرى نحو الأسوأ. لكن عجلة الحياة ذهبت في مسار جديد لم نتوقعه، لقد أدرك الإنسان ضعفه أمام ترسانات السلاح التي خزّنها لحروبه فإذا به أمام عدو لا مرئي، فها هو مثل دونكيشوت عاجز وحالم في موقف لا يحسد عليه، وهو يواجه قدرًا من أغرب أقدار العصر التكنولوجي المتفوق، ألا وهو قدر العزلة، والحجر الذاتي، والعودة للكهف البعيد عن بني جنسه، إذ يبدو أن التكنولوجيا خدمته استعدادا لهذا الحجر.

ما نعيشه شبيه تماما بوقائع فيلم "عدوى" المنتج سنة 2011 والذي قام بدور البطولة فيه "مات دايمن". الفيلم الذي سحب من قائمة نتفليكس أثار الكثير من الأسئلة على مواقع التواصل الإجتماعي، إذ أن قصته تنطلق من إصابة موظفة عائدة من هونغ كونغ بمرض يشبه الأنفلونزا، يتوضح فيما بعد أن سببه فيروس مرّكب، ناتج عن تلاقح فيروسات من الخنازير والخفافيش. محطات القصة مذهلة، في تتبع حياة المصابة الأولى وعلاقاتها مع القريبين منها وانتقال الفيروس إليهم، قبل الحجر عليهم لتقليص العدوى التي أصبحت تهدد البشرية.

لقد سبق الأدب والفن كل تطور إنساني بخطوات كبيرة، وقدّم قراءات للمستقبل تمامًا كما فعل مع الماضي، وهذا في حدّ ذاته مخيف، إذ أن بعض القصص والأفلام تحُ الأرض إلى كواكب أخرى بعد كوارث أكثر رعبًا من زمن الحروب البشرية والفيروسية، فهل نحن أمام مرحلة وعي جديدة مفعمة بأسئلة جادة حول مستقبل الإنسان؟.

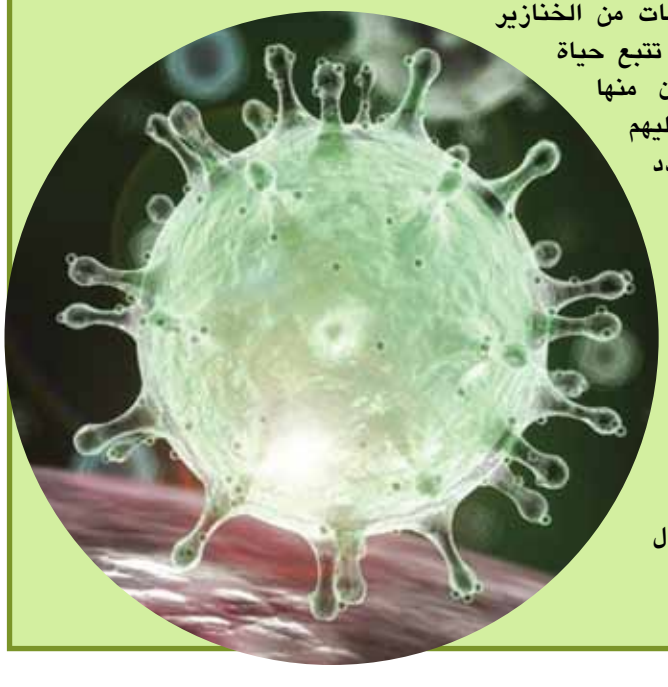

«كورونا» تعيد القارئ العربي بقوة للكتب المقرصنة، المنتشرة على شكل pdf عبر مواقع لا تعد ولا تحصى

الهواء، بسيوف خشبية. لهذا أعتقد أننا يجب بعد أن نقرأ "الطاعون" و"العمى" أن نضيف إلى قائمة قراءاتنا رواية "دون كيشوت دي لامنشا" للأديب الإسباني ميغيل دي ثربانتس سابيدرا، لأنها تنطبق علينا اليوم في المستجدّات التراجيدية التي يعيشها العالم كله.

فأجمل ما في هذه الرواية ويشبهنا كثيرا هو بنتيها الحكائية المبنية على شخصين؛ أحدهما رجل نبيل أصيب بلوثة عقلية من قلة النوم والطعام وكثرة قراءة قصص الفرسان، فظنّ نفسه فارسًا والثاني فلاح بسيط، صدّق جنون جاره وتحوّل إلى مرافق له. ونحن هنا بالضبط في موقع الفلاح المأخوذ بالسيد النبيل الخرف. كمٌ السخرية قاتل في هذه الرواية، وقد خطرت ببالي وأنا أقرأ قائمة

أشباح «كورونا»

كورونا يتنزه في العالم وكلمة السر: فانغا!

زهراء المنصور

هذه تأملات في الجائحة الجديدة المستجدة التي اجتاحت العالم في غضون الشهرين الماضين وتسببت في خسائر اقتصادية وتحولات اجتماعية وسلوكية هائلة، وأحالت البشر إلى كائنات خائفة ومرعوبة ومستريبة وفاقدة للثقة في الحاضر والمستقبل، والسؤال هو: هل كان العالم أفضل قبل كورونا؟ ثم هل سيكون أفضل بعد كورونا؟ بمعنى أن التغيير الذي أحدثه سيرافقنا حتى بعد انتهاء الجائحة واستعادة حياتنا الطبيعية؟

العرافة البلغارية فانغا

نبيل شعيل

د. محمد صلاح موسى

مهرجان مسرح الصورة

فايروس غير مرئي بالعين المجردة أوقف العالم على قدم واحدة، صنفته منظمة الصحة العالمية على أنه يشكل حالة طوارئ صحية عالمية، فجاء الهلع راكضاً، مصحوباً بكمية التقارير الطبية المعجونة بأرقام وحقائق وتفصيلات لا يهتم بقراءتها الشخص العادي في سائر الأيام. ولعل الفضول والرغبة في معرفة الأساسيات تدعو البعض للإنصات قليلاً، لكنه اهتمام لم يطل؛ لأن الإعلام بأوجهه المتعددة، خصوصاً في وسائل التواصل، دخل بقوة لينثر فوضى لا مسئول لها، تخرج بفتاوى وتصورات ونصائح في الموضوع من خلال منصته/هاتفه النقال؛ من خلطات المناعة المعدة منزلياً، وحتى الاحتياطات الواجبة والمبتكرة أيضاً، إلى حد التحذير من بعض الأدوية التي تأتي على هيئة صوتية أو مرئية مقرونة بمنصب طبي لإضفاء شيء من الجدية والوقار للمادة!

في مقابل كل الخوف من انتشار الفايروس والموت به، أطلقت الشعوب العنان للفكاهة والنكت التي تسعى لتخفيف وطئة العزل/ الحجر/ المرض/ الموت، كلها كانت سواء في وقت لاحق، بعد أن استوعب عامة الناس خطورة ما سخروا منه في البداية، حيث بدا أنه شيء ما حاصل في الصين أو ما جاورها من البلاد، والبعد الجغرافي يمكن أن يخلق التعاطف وبعض الاهتمام لوقت قصير جداً، يتلاشى بسرعة تحت مُلهيات الحياة "الأهم"، لذا تبقى النكتة تعبر عن واقع يرفض الناس تصديقه أو مواجهته، كحيلة نفسية دفاعية ومعتادة أيضاً. هكذا بدأت الأمور، لما كانت لا تزال غير ملموسة، لكنها حين اقتربت أكثر في محيطنا بدأت الحكومات تتخذ احترازاتها الوقائية، وصلت إلى الإعلان عن إغلاق الأماكن العامة التي تجمع عدداً كبيراً من البشر وهو أمر مخالف، لطبيعة المرض الذي ينتقل بسهولة؛ بالملامسة، والتقارب، والرذاذ، وغيرها. وظهرت ثلة من الجهلة، المعروفين بشكل أو بآخر للناس، ممن استصغروا - خاصة قبل تفاقمه عالمياً - وسخروا ممن يحذر منه، مدعين أن مناعتهم التي يغذونها عبر وصفات الثوم والبصل والخل وغيرها قادرة على الفتك بالكورونا(1)، أو أن القدرة الإلهية في دور العبادة ستزيل أي مكروه يأتي من مسبب "مادي"، وليس من الضروري الإشارة إلى التحذير الديني بتجنب سبل التهلكة، والتي دعت إليها كل الديانات.

لكن التبجح في هذا الظهور غير الواعي بالحقيقة العلمية المادية للإصابة بهذا الفايروس، أودى بمسار حياة أشخاص كثر، ظهرت نجمتهم المفضلة وهي تضحك برقاعة على الإعلام الذي يضخم موضوعاً تافهاً! أو ظهور رجل دين مخفور بالورع في كنيسته، أو مسجده، أو معبده، يدّعي أن مكانه محمي بقدرة الرب، تحت ذريعة أن المرض والموت وما سواهما من المقدرات التي لا يمكن تغيير مسارها مهما فعل الإنسان، لذلك فإن الاستمرار بالعبادة - دون الأخذ بالأسباب - هو طريق النجاة الوحيد!

وليست هذه القوالب الوحيدة التي تتعرض لها المجتمعات في هذه الأزمة أو سواها، فهناك فقرة مهمة تصاحب مثل هذه الأزمات في باب نظرية المؤامرة "المزمن". فقد ظهرت الكورونا في المواد المرئية بشكل صريح في المسلسل الكوري My secret terries المنتج في 2018، يتم الحديث بشكل مفصل ومذهل عن الفايروس، تماماً كما في المسلسل الكارتوني the Simpsons الذي تنبأ بإصابة النجم الأمريكي توم هانكس بالفايروس من دون ذكره بالإسم، لكن عبر وصفه بـ"الفايروس التاجي الذي يتفشى في أقصى الشرق ويجتاح الكوكب..". ولم يقف الأمر عند حدود الدراما التي نجهل من وراء تصنيعها، حتى بظهور أسماء العاملين عليها في تترات المقدمة والنهاية، حتى يأتي دور العرافة البلغارية الكفيفة "فانغا"، والتي توازي دور وقيمة العرافات في تاريخ المسرح اليوناني، الذي يرسم خارطة طريق للأبطال بناء على أقوال العراف/ة. وفانغا التي قضت نحبها منذ عام 1996، لكنها عادت للصدارة مؤخراً من خلال تذكير بعض المصادر بالنبوءات التي تحققت مسبقاً حول "الوباء الخطير الذي سيكتسح العالم في 2020"، كل هذه الأخبار تأتي من غير مصادرها، لأنها مجرد أخبار مختصرة ومتنقلة وراء حجاب وسائل التواصل المتاحة، فلا أحد يهتم بالبحث عن الحقيقة من منبعها الذي يبدأ بفكرة "توصل العلماء إلى دراسة تحذر من ....."، ربما كانت إشاعة مؤلفة للتسلية، أو زرع الرعب في النفوس، والضحك على ردود فعل البشر الذين يرون في الحياة ما يستحق أن يعاش، أو أنها حقيقة مضاف إليها قليل من الزيادة التي تربك حياة شعوب بأكملها.

لكنه في النهاية فعل مؤثر على الآخرين وعلى حياتهم، ليس على سبيل المبالغة، لكنه تأثير القوة الناعمة التي تكون عبارة عن "امتلاك القدرات على التأثير في أسلوب الآخرين لجعل الأشياء تنفع"(2)، وهو تأثير سلبي، لأنه مصحوب بجهل، وقلة وعي، ومجاهرة لابد أنها أثرت على فئات كبيرة، خاصة ممن يربطون العلم بالدين، وهما شيئان منفصلان، رغم تقاطعهما في شؤون حياتنا. والقوة الناعمة أيضاً تأتي عبر التأثير بالسلوك دون أوامر مباشرة، فيكفي أن يعرف الآمر السياق العام، حتى يعرف كيف يحرك عن بعد من يريدهم أن يتبعوه. قد يكون هذا الآمر فرداً، أو مؤسسة، لديهم أغراض قصيرة المدى، مثل جني مشاهدات، ونيل العديد من الإعجابات التي تنقل صاحبها لمستوى آخر، أو أهداف

أشباح «كورونا»

استراتيجية بعيدة المدى، لكن النتيجة واحدة والأمر سيان. وفي أزمة الكورونا الحالية، لم يترك قاموسurban dictionary هؤلاء الذين يستخدمون تأثيرهم السلبي دون أن يضيف لهم ما يستحقون، فقام بدمج كلمتي covid التي تشير إلى فايروس كورونا وكلمةidiot التي تعني غبي أو أحمق، فظهرت كلمة جديدة هي covidiot وتعني الشخص الذي يتجاهل التحذيرات المتعلقة بالصحة العامة والسلامة. ولا أظن أن هناك كلمة أدق من هذه لتوصيف المشاهير الذين ساهموا بحمقهم في تفشي الوباء الفكري والكوروني لدى متابعيهم!

في حين أن شخصاً بشعبية المطرب الكويتي نبيل شعيل، قد فطن إلى قوة التأثير التي يمتلكها، بعيداً عن جفاف تقارير الأخبار، وتحليلات الأطباء المستمرة – والمتناقضة أحياناً – قد ظهر بشكل بسيط، وغير متكلف، في بيته موجهاً خطابه للناس بضرورة الالتزام في البيت، لئلا يسهل نقل العدوى من شخص لآخر، بالذات أن الفايروس ينتقل بخبث من شخص لآخر بلا أعراض ظاهرة تتطلب الحذر، مما يجعل التراكم كبيراً، والضغط الهائل على الكوادر الطبية، فلخصها لجمهوره في جملة بسيطة: كيف أستطيع أن أدعو لمنزلي ألفي شخص، في حين أني لا أملك إلا عاملتين بالمنزل؟

ربما لم يكن شعيل هو الأول، لكنه استثمر قبوله وجماهيرته للتوعية.. نموذج آخر من مصر، قد لا يعرفه الكثيرون، لأنه يتعامل مع فئة خاصة غير تلك التي يتعامل معها الإعلام بعمومية، هو الدكتور محمد صلاح موسى، الذي يعمل في تأهيل العلاج النفسي للمدمنين وعلاج الإدمان، والذي توجه للإرشاد والتوعية للفئة المستهدفة عنده، المدمنين غير المتعافين، والذين سيسهل نقل العدوى بينهم، وبالتالي لكل مخالطيهم، عبر بث مباشر نستطيع أن نطلق عليه بثاً متخصصاً(3). وعلى مستوى المهرجانات التي تتطلب تجمع عدد كبير من الناس، قام المخرج بدر قلاج من المغرب بالإعلان عن المهرجان الأول لـ"المسرح المصور" الذي تنظمه جمعية مسرح أسوار مواكز الفني، وجمعية فوازير للفنون والثقافة والأعمال الاجتماعية، تحت شعار "أبقى فدار والمسرحية تجي لعندك"(4)، على اعتبار أن المسرح تحديداً، دون الفنون الأخرى، الجمهور هو الذي يذهب إليه، وليس العكس، وهو ما قام به منذ سنوات فنان الماريونت المصري محمد فوزي، بتأسيس مهرجان عبر الإنترنت، يستضيف عروضاً دولية بخاصية البث المباشر، بالإضافة إلى ورش وندوات حية(5). كل هذه المبادرات، ضمن نماذج كثيرة تستحق الإشادة الحقيقية، والتي تتابعت بعدها مبادرات فردية ومؤسساتية، هي نماذج قد تحتمل الفشل والنجاح، القبول أو عدمه، لكنها تبرهن أن القوة الناعمة في امتلاك القدرات أو الموارد التي يمكنها أن تؤثر على النتائج، وتغير من الواقع، على أن نسلم زمام الأزمة التي سببها فايروس بيد العلم المؤكد، غير القائم على الغيبيات، والاقتراحات، وتحديث نبوءات فانغا ومن سواها، على مقاس التشاؤم الذي سيقضي على ما تبقى لنا من وقت ونحن على قيد الحياة. ما عدا ذلك، فسوف تنطبق علينا المقولة الرائجة حالياً "من منظور آخر، نحن الفيروس الذي أصاب الأرض، وكورونا هو العلاج"!

المصادر

https://m.youtube.com/watch?v=Rx0TX-yMLRs&feature=share

القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، جوزيف س.ناي، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 2007م

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2658221087&id=100003579655506&40520

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2704351089&id=100007777512444&34115

https://kayanmarionetteegypt.wixsite.com/egypt/festival

ڤايروس كورونا والموبوؤن بالطائفية

جلال إبراهيم

طاعون القرن الواحد والعشرين، هكذا وصف فايروس كورونا. انطلق من مدينة ووهان الصينية، وانتشر في أغلب بلدان العالم، حاصداً الآلاف من الأرواح والمصابين. ووجّه ضربة موجعة للاقتصاد العالمي، وأوقف الكثير من الأنشطة البشرية اليومية.

لم يميز هذا الفايروس في عداوته للناس وانتشاره، بين الدول الغنية أو الفقيرة، بين دين وآخر، بين عرق وآخر، فالكل سواء في المعاناة ومواجهة الفايروس للتغلّب عليه.

غير أن النفوس المريضة بالحقد والكراهية من أفراد وجماعات ومؤسسات ودول لم تتوانَ للحظة في استثمار هذا الفايروس القاتل لأجندتها العدوانية وغير الإنسانية. فلا غرابة من أمثال هؤلاء أن يرفعوا صوتهم عالياً بأن يطلبوا من دولتهم ترك مواطنيها العالقين في الدول الموبوءة بـ#ايروس كورونا مواجهة القدر المجهول المتمثل بعناء الغربة وخطورة الإصابة بالداء الخطير.

بل أكثر من ذلك يتم اتهام من كان عالقاً في دولة ما ومن ثم عاد إلى أراضي وطنه، بأنه عميلٌ لتلك الدولة من خلال نشر فايروس كورونا؟! هكذا يتم بكل وقاحة تحويل قضية إنسانية إلى قضية سياسية وطائفية وتآمر على الوطن.

وفي الواقع فإن أمثال هؤلاء الموبوئين بالحقد الديني والطائفي هم أخطر من فايروس كورونا، لأن الأخير لن يستمر طويلاً، بينما العقلية الطائفية لهؤلاء ستستمر لسنوات عديدة، وربما يتأثر منها البعض، فتشكّل خطورة على مساحة التسامح والتعايش السلمي بين مكونات الشعب.

وحين تتسع دائرة الخطاب الطائفي في دولة ما فتصدّر من مؤسسات المجتمع المدني أو المؤسسات الرسمية، حتماً ستكون النتيجة أكثر سوءًا، لأن حجم انتشار سموم هذا الخطاب – الذي يتصف بالتعصب والتقسيم والتمييز البعيد عن المواطنة المتساوية – ستكون سلبية على الجميع وخصوصاً المتضررين منهم.

أما على مستوى الدول، لم يثبت إلى الآن صحة التهم الموجهة للدولة العظمى الأولى عالمياً بأنها خلف ظهور فايروس كورونا، وهو ما لمّحت إليه روسيا والصين. وهو اتهام خطير بلا شك ويحتاج إلى أدلة قطعية لا ظنيّة. ومن المؤسف أن بعض الدول قد مارست التشفي في حق دول أخرى انتشر فيها وباء كورونا بصورة واسعة، وبالتالي حصد المئات من الأرواح والآلاف من المصابين، فضلاً عن شبه الشلل الاقتصادي فيها. في حين برزت على السطح تسريبات نشرتها بعض الصحف العالمية تشير إلى توصل شركة ألمانية طبية من اكتشاف دواء للقضاء على كورونا، وسعي الأمريكان الحثيث بقيادة ترامب في شراء هذا الدواء واحتكار بيعه عالمياً.

الدرس البليغ الذي أعطاه فايروس كورونا لكل دول العالم وشعوبها وحكامها، أن قدرنا ومصيرنا واستمرارنا كبشر على كوكب الأرض بأمان وسلام، يكمن في تقبّلنا لبعضنا البعض وفي ترابطنا وتكاتفنا في مواجهة الصعاب والمخاطر بشتى أشكالها. فايروس كورونا ضرب الجميع ولم يستثنِ أحداً بسبب لونه أو عرقه أو دينه، فالكل سواء، ومع ذلك يصر الموبوؤون بالحقد الديني والطائفي أو الرأسمالي المتوحش، على تقسيم البشر من حيث القيمة والحقوق الأساسية والطبيعية لكل إنسان على هذه الأرض.

أشباح «كورونا»

حتى قبل ذلك
كنا نفعل الأشياء نفسها كل يوم

سوسن حسن

ماذا ستفعل اليوم ؟
كالمعتاد.
وأنا كذلك.
لم يخطر ببال أحد أننا سنفعل ذات الشيء الذي تفعله البشرية أجمع، وفي نفس الوقت: الجلوس بالبيت كل يوم حتى إشعار آخر. أهذه هي إذا العولمة؟ أن نجعل الشيء عالمي الانتشار؟

قرأت لكاتب من جمهورية موريشيوس، يدعى عيسى أصغر علي، بأنه لو قرأت الحكومة الاسرائيلية أشعارمحمود درويش، قد تتوقف الحرب ويشيع السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ضحكت بصوتٍ عال فور قراءتي هذه الجملة، وذلك بسببٍ سذاجتها. استغربت تصوّر الكاتب. كيف لأحد أن يتصوّر بأن مشكلة الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي هي محض عائق لغة؟!

يظنّ عيسى أصغر علي أنه استطاع البشر تجاوز الاختلافات، سيحلّ السلام في العالم أجمع، وان لم نستطع تجاوزها، فمصيرنا الحرب.

في الحقيقة، هنالك حروب عادلة يجب أن تخاض.

عندما كانت ألمانيا على وشك النيل من فرنسا، لم يستسلم الجنرال شارل ديغول، ودافع عن حق فرنسا في المقاومة. وبالمثل، لن يتجاوز الفلسطينيون اختلافهم مع الإسرائيليين بالاستسلام. ذلك غير ممكن.

ما يحدث في العالم، يتجاوز قدرة الحكومات على السيطرة. إن كانت الحرب العالمية الأولى نتجت عن خطأ في الحسابات، فالحرب العالمية الثانية أصبحت حرفة. حتى بعد الحرب، أصبح الانسان عجوزا، يعيش في عالم لم يعد يعرفه.

العالم هو ما تصنع أيدينا. الكل يريد أن يكون الانسان مسالمًا، إلا أن روسو لم يكن على حق عندما لوّح بأن الانسان خير بالطبيعية، و بأن الشر ليس من سماته. الانسان قادر على الشر مثلما هو قادر على الخير.

ما نحتاجه بالفعل، هو إعادة تعريف للثقافة. ايما بو#اري لم تنتحر خوفاً من زوجها، بل انتحرت مللًا، أي الملل ذاته الذي أصاب أوروبا و جرّدها من إنسانيتها. ظلت ايما بو#اري تحلم، الا أنه لم يكن لأحلامها مثيل على أرض الواقع. قد يهلع فلوبير عندما يرى بأن العالم لم يتغير كثيراً من حينها، فثقافة الملل سارية. يقول أرتور شوبنهاور: "إن الانسانية قد حكم عليها بشكل واضح أن تتأرجح إلى الأبد بين طرفين أحدهما الضيق وثانيهما الملل".

ربما كنّا دائماً ضجرين، أو مملين، ولم نعِ ذلك. ماذا كان يحتل جدول فعاليات يومي قبل الإضطرار للجلوس في البيت ؟ العمل، الدراسة، التفكير في الغد ؟ في النهاية، سأعيد عمل ما فعلته بالأمس، وهكذا...

اذاً، الحياة يشوبها الملل والتكرار بشكل عام. لعلّ الجلوس في البيت يُغيرّ المعادلة، فنضفي على يومنا بعض التغييرات، فقراءة كتاب، أو الاستماع إلى الموسيقى، إنجاز بعض الأعمال المنزلية، حتى نشعر بأننا لا نعيد ذات الشيء كل يوم، مثلما كنّا نشعر ونحن نعمل، لأن طريقة سير يومنا في أيدينا هذه المرة. ماذا تراكم فاعلون ؟

ملاحظات أولية على تبعات برنامج التقاعد الاختياري

عندما أعلنت الحكومة عن برنامج التقاعد الاختياري في النصف الثاني من ٢٠١٨ مصحوبًا مع الكثير من التوجيهات والارشادات عنه، والذي كان يهدف إلى تخفيض البند الأول من الميزانية، والذي يشكّل ما نسبته الـ ٤٠٪، وبما يقترب من المليار ونصف المليار دينار بحريني، كما يتبين من الحساب الختامي لسنة ٢٠١٨، ومن أجل خفض الميزانية العامة، وبالتالي تخفيض العجز المالي والمساهمة في وقف نمو الدّين العام.. وترافق ذلك كله مع مجموعة من المقالات في الصحافة وتصريحات العديد من أعضاء السلطتين التنفيذية والتشريعية وكتاب الأعمدة، وكان تنفيذ هذا البرنامج إحالة ما يقارب الـ ٩ آلاف من العاملين في الحكومة على التقاعد المبكر بامتيازات تشجيعية، وعلى أساس أنّ لهذا البرنامج الكثير من الجوانب الإيجابية، تتركز في:

فلاح هاشم

خفض النفقات في الميزانية العامة وبالتالي خفض العجز وتحقيق التوازن المالي.

زيادة في السجلات التجارية وإنشاء المؤسسات وإقامة مشاريع جديدة بما سينشط دورة الاقتصاد الوطني وزيادة حركة الاستثمار.

ضخّ المزيد من الأمـوال في مجال الاستثمار عن طريق دخول هؤلاء سوق الاستثمار بما يملكونه من مدخرات او مستحقات تحصّلوا عليها حال خروجهم إلى التقاعد وفق هذا البرنامج.

رفد سوق الاستثمار بعقول ودماء جديدة من خلال السماح للمستفيدين من هذا البرنامج في توظيف خبراتهم ومهاراتهم ومؤهلاتهم الإدارية والعلمية في مجال ريادة الأعمال وتعزيز العمل في القطاع الخاص.

رفع كفاءة القطاع الحكومي والقضاء على البطالة المقنعة.

خلق فرص عمل جديدة لمن هم على قوائم انتظار ديـوان الخدمة المدنية، والعمل على تغطية الشواغر في مختلف المؤسسات والهيئات الحكومية بمختلف أقسامها وتخصصاتها، الأمر الذي سيساهم في تدني نسبة البطالة، ورفع نسبة البحرنة في كل قطاعات الدولة ومؤسساتها.

جـرى ترويج هـذه الـرؤيـة التي صاحبت إطـلاق هذا البرنامج، حتى دون أن تتفحصه أو تتبين من تكاليف تطبيقه وآلية تنفيذه. ليتضح ذلك بعد إقراره مباشرة حين تقدمت الحكومة في مارس من عام 2019 إلى المجلس النيابي بمشروع بقانون مستعجل لتعديل قانون التعطّل يجيز للحكومة سحب مبلغ 230 مليون دينار لتمويل تكاليف هذا البرنامج، الأمر الذي أثار معارضة مجتمعية كبيرة، وللأسف صوتت له مجموعة من أعضاء مجلس النواب، وأقرّ، تالياً من المجلسين: النواب والشورى.

ورغم أن الوقت لا زال مبكرا لتقييم آثار هذا البرنامج؛ إلا أن بعضًا من الملاحضات التي أكدّنا عليها وبالذات في تبيان أسباب معارضتنا تؤكدها الشواهد التي ظهرت للعيان ومنها:

ما يدور الحديث عنه، والتصريحات ذات الصلة، عن زيادة العجز في صندوق التقاعد وهو عجز فاقم هذا البرنامج منه، والتبعات التي سيتحملها صندوق التقاعد، وما ينتج عن ذلك من إخراج الآلاف من العاملين من العملية الإنتاجية، لأن حلّ مشكلة البطالة يتطلب وضع سياسة تشغيلية واضحة المعالم تعتمد على إحلال البحرينيين محل العمالة الوافدة في مؤسسات وهيئات ووزارات الدولة والشركات الحكومية أولًا، وتهيئة ظروف وبيئة عمل لائقة في القطاع الخاص في جميع الصعد ثانيًا.. وهذا ما يغيب عن أية خطة حكومية.

كما أنه وبحكم ما نصّ عليه البرنامج من إلغاء وظائف ممن تقاعد اختيارياً فقد أغلق الباب بوجه إحلال بحرينين في وظائفهم، مما ساهم في زيادة نسبة العاملين غير البحرينيين في مؤسسات ووزارات القطاع العام. وهـذا ما ثبت من إحصائيات ديوان الخدمة المدنية.

إن الحديث عما وصلت له الأسوق والاقتصاد البحريني من حالة ركود لم يستطع هذا البرنامج من إسعافه، حيث إنه وبعد مرور سنة عليه، أقرّ مجلس النواب تشكيل لجنة لدراسة الركود وهو ما يدلّ على صحة هذا الاستنتاج، وسيؤدي حتماً إلى تراجع النمو الاقتصادي من جراء إخراج الالاف من المواطنين من عملية الانتاج بدون أية ضمانه لتحقيق ما روّج له من فرص لدخولهم لعالم الاستثمار.

كما أنه لايغيب على عين المراقب ما وصلت له الخدمات الحكومية بعيد خـروج الآلاف من العاملين على التقاعد وخاصة في قطاعي الصحة والتعليم، وتشهد مضابط جلسات مجلس النواب على ما صرّح به معظم النواب – إذا لم نقل جميعهم – عن تراجع الخدمات التي هي في الأساس كانت تعاني ما تعانيه، حتى قبل الشروع في تطبيق هذا البرنامج.

خروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي

بريطانيا جزيرة كبيرة تقع في الشمال الغربي للمحيط الاطلسي، لا تربطها بأوروبا، عبر فرنسا، سوى قناة المانش المحفورة تحت أعماق بحر الشمال. تتكوّن بريطانيا من اربع ولايات، هي انجلترا، اسكوتلاندا، ويلز، وايرلندا الشمالية. وكل واحدة من هذه الولايات الأربع تتمتع باستقلال ذاتي، وتنضوي في دولة اتحادية، نظام الحكم فيها ملكي دستوري ديمقراطي.

تسمى بريطانيا رسميا المملكة المتحدة، (UK). يبلغ عدد السكان فيها ٦٦.٤٤ مليون – ٢٠١٨. عدد سكان انجلترا ٥٥.٩٨، بينما يبلغ سكان سكوتلندا ٥.٤٣٨ مليون، أما عدد سكان ويلز فيبلغ ٣.١٣٩ مليون. وسكان إيرلندا ١.٨٨٢مليون. وعاصمة المملكة المتحدة هي لندن التي تعد مركزًا ماليًا عالميًا. هذا التوزيع السكاني يبين أن انجلترا واسكتلندا تمثلان الركيزة الأساسية في المملكة المتحدة.

كان يطلق على بريطانيا الدولة التي لا تغيب عنها الشمس، نتيجة بسط نفوذها الاستعماري سابقًا على العديد من دول آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية. وهي تتولي زعامة رابطة الشعوب البريطانية التي تعرف بالكومنولث، وتشمل العديد من الدول التي نالت استقلالها من بريطانيا، مثل استراليا والهند وبنغلادش وماليزيا وباكستان ونيوزلندا وكينيا والكميرون الخ.

تعدّ بريطانيا الدولة الصناعية الأولى في أوروبا، ولغتها الإنجليزية هي الأكثر استعمالًا، فهي لغة العلوم والأبحاث العلمية. ومن بريطانيا انطلقت الثورة الصناعية الأولى عام 1784 التي وصلت إلى فرنسا وألمانيا وروسيا وأمريكا، ومن ثم إلى باقي الدول الأوروبية واليابان، نتيجة لاكتشاف الآلة البخارية التي استخدمت في تسيير شبكة القطارات التي ساهمت في التطوير وبناء شبكة مواصلات سريعة تربط بين المدن البريطانية . كما ساهمت الآلة البخارية في تطوير آلات الصهر وصبّ قوالب الحديد الصلب الذي أدى الى تطور الانتاج الصناعي في بريطانيا والدول الاوروبية، وإحداث نقلة نوعية في تحوّل هذه الدول لتصبح دولاً صناعية كبرى، ودولاً استعمارية ذات قوة عسكرية ضاربة على المستوى العالمي، مما دفع بها إلى القيام بغزو بلدان القارات الأربع واحتلالها.

شاركت بريطانيا في الحربين العالمية الاولى والثانية مع قوات الحلفاء، وعانت من الخسائر البشرية والمادية بسبب مشاركتها في الحربين، خاصة في الحرب الثانية التي اندلعت في 1 سبتمبر1939 وتوقفت في 2 سبتمبر 1945، حيث كانت أكثر دموية وضحاياها من البشر أكثر من ستين مليوناً، أي ما يعادل 2.5٪ من تعداد سكان العالم في ذلك الوقت. وفي نهاية هذه الحرب اتفق قادة الدول الكبرى المنتصرة على النازية والفاشية، على تقاسم النفوذ على المستعمرات التي كانت خاضعة لدول حلف المحور.

اتفقت بريطانيا بقيادة تشرشل، والاتحاد السوفيتي بقيادة جوزيف ستالين، والولايات المتحدة الامريكية بقيادة روزفلت،على صياغة العالم الجديد بعد الحرب العالمية الثانية، في مؤتمرطهران عام 1943 ومؤتمر يالطا عام 1945، حيث اتفقوا على تقسيم المانيا ومحاكمة أعضاء الحزب النازي وتحرير الشعوب وتنظيم حالة السلم العالمي ما بعد الحرب. وبذلك فإن بريطانيا اليوم هي إحدى الدول الخمس التي تتمتع بالعضوية الدائمة وبحق الفيتو في مجلس الامن، كما أنها عضو في مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى وتمتلك اقتصادًا صناعيًا متطورًا، ويبلغ إجمالي دخلها القومي 1.52 ترليون دولار، ومتوسط صافي دخل الفرد سنويا 17940 جنيها استرليني، بعد الضريبة التي تمثل 40٪.

بالإضافة إلى خسائرها، البشرية والاقتصادية، في الحرب العالمية الثانية، واجهت بريطانيا بعد ذلك خسائرها الأخرى التي تتمثل في انتهاء سيطرتها على مستعمراتها نتيجة لثورات شعوب هذه المستعمرات من أجل الحرية والاستقلال الوطني.

قررت بريطانيا بهذه المكانة العالمية والاقتصادية والعسكرية والعلمية أن تنضم إلى الاتحاد الأوروبي في الأول من يناير عام 1973، على أمل الاستفادة من الامكانات الاقتصادية والسياسية التي يتمتع بها هذا الاتحاد؛ فهي ترى أن انضمامها إليه امرًا طبيعيًا بحكم انتمائها الانغلوساكسوني مع الشعوب الأوروبية، وأن النظام السياسي الديمقراطي، والاقتصاد الحر الراسمالي في بريطانيا، هما نفسهما القائمان في دول الاتحاد الأوروبي الأساسية مثل المانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرغ وإيرلندا والدانمارك وباقي دول الاتحاد الأخرى. وهي عضو مع هذه الدول في حلف شمال الاطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن تبيّن من التجربة أن الانضمام للاتحاد أدى الى تقزيم مكانة بريطانيا الدولية، واكتشفت أن عضويتها فيه وضعتها في معضلة كلّفتها تبعات مؤذية، مثل قيامها أولاً باجراءات التوافق (الهارمونايزاشين) للأنظمة والقوانين البريطانية مع الأنظمة والتشريعات المطبقة في دول الاتحاد الأوروبي، واستغرقت مسيرة التوافق هذه عدة سنوات.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفكك حلف وارسو انضمت العديد من دول البلقان الفقيرة مثل بلغاريا ورومانيا واليونان إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الاطلسي، وقد بلغ عدد دول الاتحاد الأوروبي حتى الآن 28 دولة. وهناك دول أخرى مرشحة للإنضمام إليه مثل تركيا ومقدونيا والبانيا وصربيا والجبل الأسود، لكن بريطانيا رأت أن بقاءها في الاتحاد يتعارض مع مصالحها الوطنية، اذ تصاعدت أصوات تذمّر المواطنين نتيجة لتدفق الأيدي العاملة من دول البلقان التي انضمت إلى الاتحاد حديثاً للعمل في بريطانيا، حيث فرض على بريطانيا تشغيل آلاف العمال من هذه الدول حسب ال»كوتا» التي اقرها البرلمان الاوروبي ويشرف على تنفيدها من قبل المفوضية الأوروبية.

وقد أثرّ ذلك سلباً على سوق قوة العمل الوطنية، وأدى إلى ارتفاع الايجارات وأسعار السلع وازدياد البطالة بين المواطنين البريطانيين، واصبحت عملة اليورو الأوروبي منافسة للجنيه الاسترليني. ونتيجة لذلك رفضت بريطانيا التخلي عن عملتها الوطنية رمزالعرش الملكي البريطاني وعملة مركزها المالي العالمي.

الساسة البريطانيون وسائر المواطنين هناك يرون أن قرارات مؤسسات الاتحاد الأوروبي مثل رئاسة المجلس الأوروبي، ومجلس الاتحاد الأوروبي، والمفوضية الأوروبية، والبرلمان الأوربي، يسلبون القرار السيادي الوطني البريطاني، ومن هيبة ومكانة التاج الملكي في المملكة المتحدة، وهي التي تتزعم تكتل دول الكومنولث تحت مظلة هذا التاج، وهو تكتل يضمّ 54 دولة. بريطانيا التي ترى نفسها أمًا للنظام الراسمالي مشاركة مع الولايات المتحدة الامريكية، أصبحت أقلّ ندية لفرنسا والمانيا اقتصاديا في داخل الاتحاد.

أضف إلى كل ذلك، الآثارالسلبية المتمثلة في الالتزامات المالية الكبيرة التي تدفعها بريطانيا للاتحاد الأوروبي سنويا مقابل عضويتها، وما تدفعه أيضًا لدعم الدول التي

انضمت حديثا إليه لغرض تطوير بنيتها التحتية وتحسين أداءهـا الاقتصادي. هـذه الفاتورة المالية السنوية هي أكثر بكثير مما يعود عليها اقتصاديا وسياسيا من عضويتها في الاتحاد الأوروبي، إذ يمكن توظيف هذه المليارات في الاقتصاد البريطاني سنويا.

بعد تلك المسيرة الاتحادية التي دامت 46 عاما، أدرك النظام السياسي البريطاني مدى الأضرار التي لحقت ببريطانيا، وبسببها تصاعد السخط الشعبي وتذمرت القوى السياسية والنقابات العمالية مما استدعى إجراء استفتاء شعبي حول الخروج من الاتحاد (Brexit)في 23 ينيو 2016، وكانت النتيجة 51.9٪ لصالح الخروج، وتلى ذلك مسيرة اجراءات الخروج المعقدة وتحمّلها دفع فاتورة مالية قد تصل إلى 60 مليار يورو، كما يطالب الاتحاد الأوروبي، بينما تريد هي التفاوض على دفع 20 مليار يورو.

ورغم ذلك فإن اسكوتلندا وإيرلندا تفضلان البقاء في الاتحاد الأوروبـي؛ وتطالب اسكوتلندا بإجراء استفتاء آخر من أجل الاستقلال والبقاء في الاتحاد الأوروبي، ورغم الآثار السلبية التي واجهتها بريطانيا بسبب انتمائها إلى الاتحاد الاوروبي، إلا أن خروجها منه سيكلف اقتصادها آثارا سلبية أخرى، أولها حرمانها من مزايا الإعفاء الضريبي على صادراتها إلى دول الاتحاد الأوروبي، وهي المزايا التي كانت تتمتع بها بحكم عضويته فيه، وينعكس ذلك على أسعارالسلع المصدرة إلى دول الاتحاد وعلى السلع المستوردة منه، بسبب فرض الضرائب من كلا الطرفين على تلك السلع. وهذا يدفع بشركات الاستيراد والتصدير البريطانية أن تبحث عن بدائل من السلع بأسعار تنافسية من خارج السوق الأوروبية، وستواجه الشركات البريطانية العاملة في أسواق دول الاتحاد فرض الضريبة عليها مما يقلص أرباحها وبذلك قد يدفع بعضها للخروج من أسواق دول الاتحاد، كما ستواجه بريطانيا خروج العديد من الشركات الأوروبية من السوق البريطاني بسبب فرض الضريبة عليها.

أضف الى ذلك تعاني بريطانيا حالياً من مطالبات لندن بالانفصال لتصبح دولة مدينية (city stated). وهذا أيضًا يضعف مكانتها على المستوى الدولي. كان مسار الخروج من الاتحاد الاوروبي لبريطانيا شاقًا ومؤذيًا، وسبّب تجاذبات بين القوى السياسية، بين حزب المحافظين وحزب العمال والنقابات العمالية وسائر مؤسسات المجتمع المدني. ولهذا انشغلت الصحافة البريطانية وصحف دول الكومنولث والصحف الأوروبية والعربية ومحطات التلفزيون والاذاعة العالمية بمتابعة كيفية الوصول إلى تحقيق اتفاق وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي الذي تمّ انجازه رسميا في 31 يناير 2020. ولم تنته معارك بريطانيا بعد، فهي تواجه معركتها الأخرى الجديدة التي تتمثل في مواجهة وباء كورونا العالمي الذي يهدد الحياة البشرية. كما تواجه نتائج انهيارأسواق البورصة العالمية والعملات وأسعار النفط وتراجع عام في الاقتصاد العالمي الذي ستتضررمنه جميع اقتصادات دول العالم بما فيها الاقتصاد البريطاني.

كيف نشأ يوم الأرض؟

في الثلاثين من مارس/ آذار، يحيي الفلسطينيون في كل مكان: في أراضي 1948، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة، وفي الشتات يوم الأرض الفلسطيني، ويتضامن معهم في ذلك أشقاؤهم العرب، وكل محبي الحرية والسلام والعدالة في العالم، تجسيداً للقضية العادلة للشعب الفلسطيني، وتأكيداً لحقه في العودة إلى أراضيه المحتلة، وإقامة دولته الوطنية المستقلة، شأنه في ذلك شأن كل شعوب الأرض من مشارقها إلى مغاربها.

علينا في البدء استحضار كيف نشأت فكرة يوم الأرض الفلسطيني أولاً، للتذكير والعبرة، ففي يوم السبت الثلاثين من مارس/آذار من العام 1976، وفي الظروف القاسية الناجمة عن فرض سلطات الاحتلال لأحكام حظر التجول، ومختلف تدابير القمع والتنكيل ومصادرة الأراضي، هبّ الشعب الفلسطيني في جميع المدن والقرى والتجمعات العربية في الأراضي المحتلة عام 1948.

أحد أوجه أهمية هذه الانتفاضة، أنها جرت في الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام 1948 بالذات، والتي أقيمت عليها إسرائيل بموجب قرار التقسيم، حيث تتصرف الدولة العبرية على أنه لم يعد للفلسطينيين، بمن فيهم الذين تشبثوا بأراضيهم هناك، ورفضوا مغادرة بلادهم، أي حقوق فيها، ضمن مخطط أصبح يفصح عن نفسه في السنوات الأخيرة بصورة سافرة، حول فكرة الدولة اليهودية الخالصة التي لا تحتمل وجوداً آخر غير يهودي، عليها.

جاءت الهبّة على خلفية قيام السلطات الصهيونية بمصادرة نحو 21 ألف دونم من أراضي عرّابة وسخنين ودير حنّا وعرب السواعد وغيرها لتخصيصها للمستوطنات الصهيونية في سياق مخطّط تهويد الجليل، استكمالاً لخطة بدأتها قبل ذلك بكثير، حيث صادرت نحو مليون دونم من أراضي القرى العربية في الجليل والمثلث، فضلاً عن ملايين الدونمات الأخرى من الأراضي التي استولت عليها في العام 1948، بعد سلسلة من المجازر الوحشية التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في حينه.

أثار الفصل الجديد من مصادرة الأراضي غضب الفلسطينيين، فهبّوا محتجين تحت قيادة رموز العمل الوطني الفلسطيني الشجعان، ونذكر منهم هنا بصفة خاصة الشاعر والمناضل الراحل توفيق زياد، رئيس بلدية الناصرة، واتخذت الهبة شكل إضراب شامل ومظاهرات شعبية واسعة النطاق، وغير مسبوقة حينها، وتصدت قوات الاحتلال للمحتجين بوحشية وعنف، حيث أطلقت النيران على المتظاهرين، ما أدى إلى سقوط ستة شهداء، هذا إضافة لعشرات الجرحى والمصابين، فيما ألقت سلطات الاحتلال القبض على أكثر من 300 فلسطيني.

إحياء يوم الأرض الذي غدا تقليداً سنوياً يسلط الضوء مجدداً على أن القضية الوطنية للشعب الفلسطيني تتمحور أساساً حول حقه في أرضه السليبة، المحتلة، بل إن السبب الذي أطلق شرارة هبة يوم الأرض ما زال قائماً، بل يزداد تفاقماً مع استمرار الاستيطان الصهيوني في أراضي الضفة الغربية، في غياب موقف دولي جدّي قادر على لجم سلطات الاحتلال عن التمادي فيه.

ماركس والسُكّان الأصليين في المُستعمرات (١ – ٢)

جون بلامي فوستر هو محرر مجلة Monthly Review واستاذ عِلم الاجتماع في جامعة أوريغون Oregon بالولايات المتحدة. و Brett Clark مساعد رئيس التحرير في المجلة السابق ذكرها واستاذ عِلم الاجتماع في جامعة يوتا Utah. و Hanna Holleman هي مديرة مؤسسة مجلة Monthly Review وأُستاذ مُساعد لعِلم الاجتماع في كُلية أمهيرست Amherst.

ترجمة:
غريب عوض

"إن الاهتمام بالشعوب الأصلية" في النظرية الاجتماعية على مدى العقدين الأخيرين، المُرتبط بنقد الاستعمار الإستيطاني الأبيض، لهُ موضوعات موجودة مُنذُ زمن طويل في النظرية الماركسية، ولكن بأساليب غالباً ما تكون مُنفصِلة عن نقد كارل ماركس للرأسمالية، والاستعمار، والإمبريالية. وجزء من سبب هذا الانفصال هو أن المُناقشات الراهنة لاستعمار المُستوطنين قد تطوّرت من التقاليد في النظرية الثقافية لما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار الإستيطاني والتي هي بعيدة عن المادية التاريخية. إلا أن هناك شرح أعمق لسبب الفجوة بين العمل البحثي الراهن حول الاستعمار الإستيطاني والماركسية يتعلق بمزاعم بعض النُقاد اليساريين بأن عمل ماركس يتسم بالتالي: (1) عملية توسعية صِرفة وحتمية اقتصادية؛ (2) موقف استعماري مؤيد؛ (3) المفهوم إلغائي للتقدم؛ و (4) جُرأة أو فرط الإنتاج بالنسبة للبيئة. غالباً ما يتم توظيف مثل هذهِ التُهم للتدليل على أن المادية التاريخية غير مُلائمة أو حتى مُعاديةَ لنضالات وتطلُعات الشعوب الأصلية.

يُقدم الكاتب Glen Sean Coulthard في كتابهِ Red Skins، White Masks "جلود حمراء، أقنعة بيضاء" وجهة نظر أكثر دقة عن ماركس والشعوب الأصلية، يُشارك في نقد الأخيرة لما يُسمى "التراكُم البدائي". ويؤكد Coulthard على أن "الإطار النظري لماركس" في هذا الصدد يمكن النظر إليه "بأنهُ ذي صلة بالفهم الشامل للإستعمار الإستيطاني ومُقاومة الشعوب الأصلية،" ولكن ذلك يتطلب أن تتحوّل المادية التاريخية الكلاسيكية في الحديث مع التفكير والمُمارسات النقدية للشعوب الأصلية نفسها. «تحديداً، هو يسعى إلى تجاوز ما يعتبرهُ وجهات نظر ماركس الخاطئة (1) إن مثل مُصادرة المُلكية هذه تقتصر على المراحل التكوينية للرأسمالية، بدلاً من كونها عملية مُستمرة؛ (2) أن هناك منطقاً تطورياً غير مُنصف يُعادل التقدُم؛ و (3) يجب مُعاملة البيئة على أنها تُشكّل هدية مجانية، حيثُ أن الأرض لا تُعتَبر مُستغَلة، الشعوب فقط هي المُستَغَلة.

وإذا أخذنا هذه الانتقادات على محمل الجد، نعود إلى الأُسُس الكلاسيكية للنظرية الماركسية لكي نتأكد من أين–أخطأت التحليلات إذا كان ذلك صحيحاً، وما الذي يمكن استخلاصه من ذلك الخطأ بشكل مُفيد، وكيفية بناء (أو إعادة بناء) نقداً ماركسياً للإستعمار ذي الصلة بالنضالات المُعاصرة. ومن خلال هذا التقييم، نحنُ نعتقد، أن قوة وصلابة مُحاجة المادية التاريخية الكلاسيكية سوف تُصبح واضحة.

إن العودة إلى ماركس كنقطة بداية هو أمرٌ مُهم من أجل وضع نقداً مادياً للرأسمالية والإستعمار. ومع ذلك، في المادية التاريخية ليس هناك شيء يُسمى رأي ثابت لا يتزحزح. بالأحرى، الماركسية مُنذُ البداية قد تشكلت من خلال التقاليد الثورية المحلية. وهي كفلسفة التطبيق العملي لا تهدف إلى مُجرد فهم العالَم بل وإلى تغييره أيضاً، فالمادية التاريخية على الأقل يمكنها أن تكون فوق السُلطة، أو أن تُهمل دروس النضالات الوطنية والشعبية. تُشير كلمة «الأرثودكسية» «ثبات الرأي» في الماركسية، كما قال الكاتب Georg Lukács على نحو واضح، "إلى الأسلوب حصرياً". وهكذا، فإن الأسلوب المادي التاريخي الجدلي للماركسية الكلاسيكية هو الذي يُشكل نقطة الانطلاق الضرورية للإنخراط في نقد الاستعمار، بما في ذلك الاستعمار الإستيطاني، اليوم.

الاستعمار ونزع المُلكية

يؤكد الكاتب Coulthard في كتابهِ "الجلد الأحمر، الأقنعة البيضاء" أن نظرية نزع المُلكية التي وضعها ماركس كحالة تاريخية للتنمية الرأسمالية تتعلق أساساً «بالفصل الدائم للعمال عن وسائل الإنتاج» وليس بالعلاقة الإستعمارية في حد ذاتها. وبالمثل، قيل لنا أن مُناقشة ماركس حول «نظرية الاستعمار الحديثة» في الفصل الأخير من المُجلد (1) من كتاب «رأس المال»، كانت مُكرسة لمجرد وضع نظريته في العمل المأجور ورأس المال من خلال الإشارة إلى ضرورة إزالة رأس المال للعُمال من الأرض، مما يُشير إلى عدم وجود اهتمام عام بالاستعمار. وإضافة على هذهِ الانتقادات، يقترح Coulthard أن النقد ينبغي أن ينتقل من التركيز بشكل رئيسي على علاقة رأس المال إلى نقداً يوضح أيضاً العلاقة الإستعمارية، وبالتالي مُتجاوزاً أحادية ماركس في هذا الصدد.

ومع ذلك، في الفصل 31 من كتاب رأس المال، «نشأة الرأسمالية الصناعية»، يُشير ماركس بالفعل إلى الحاجة إلى اعتبار العلاقة الأستعمارية أساساً لعلاقة رأس المال. في الواقع، إنهُ واضح تمام الوضوح بشأن هذه المسألة:

إكتشاف الذهب والفضة في أميركا، الإبـادة، الإستعباد، ودفن مناجم السكان الأصليين في تلك القارة، وبدايات الغزو ونهب الهند، وتحويل أفريقيا إلى محمية للصيد التجاري من الجلود السوداء، كلُ هذه الأشياء تُميّز فجر عصر الإنتاج الرأسمالي. هذهِ الإجراءات المِثالية هي أهم لحظات التراكم البدائي.

لذلك، بالنسبة لماركس، لم تكن الحظائر المُختلفة للمشاعات في أنجلترا، والتي تمت مُناقشتها في الفصول المُبكِرة من الجزء الثامن من كتاب رأس المال حول ما يُسمى «التراكم البدائي»، التي شكلت أهم لحظات المُصادرة الأولية ونشؤ رأس المال الصناعي، لكن بالأحرى نهب العالم بأسره خارج أوروبا، مع التركيز على «الإبادة والإستعباد والإستيلاء على مناجم السكان الأصليين»، بما في ذلك سرقة المعادن الثمينة والأراضي وأجساد السكان الأصليين. علاوة على ذلك، تتلقى

بقلم:
John Bellamy Foster

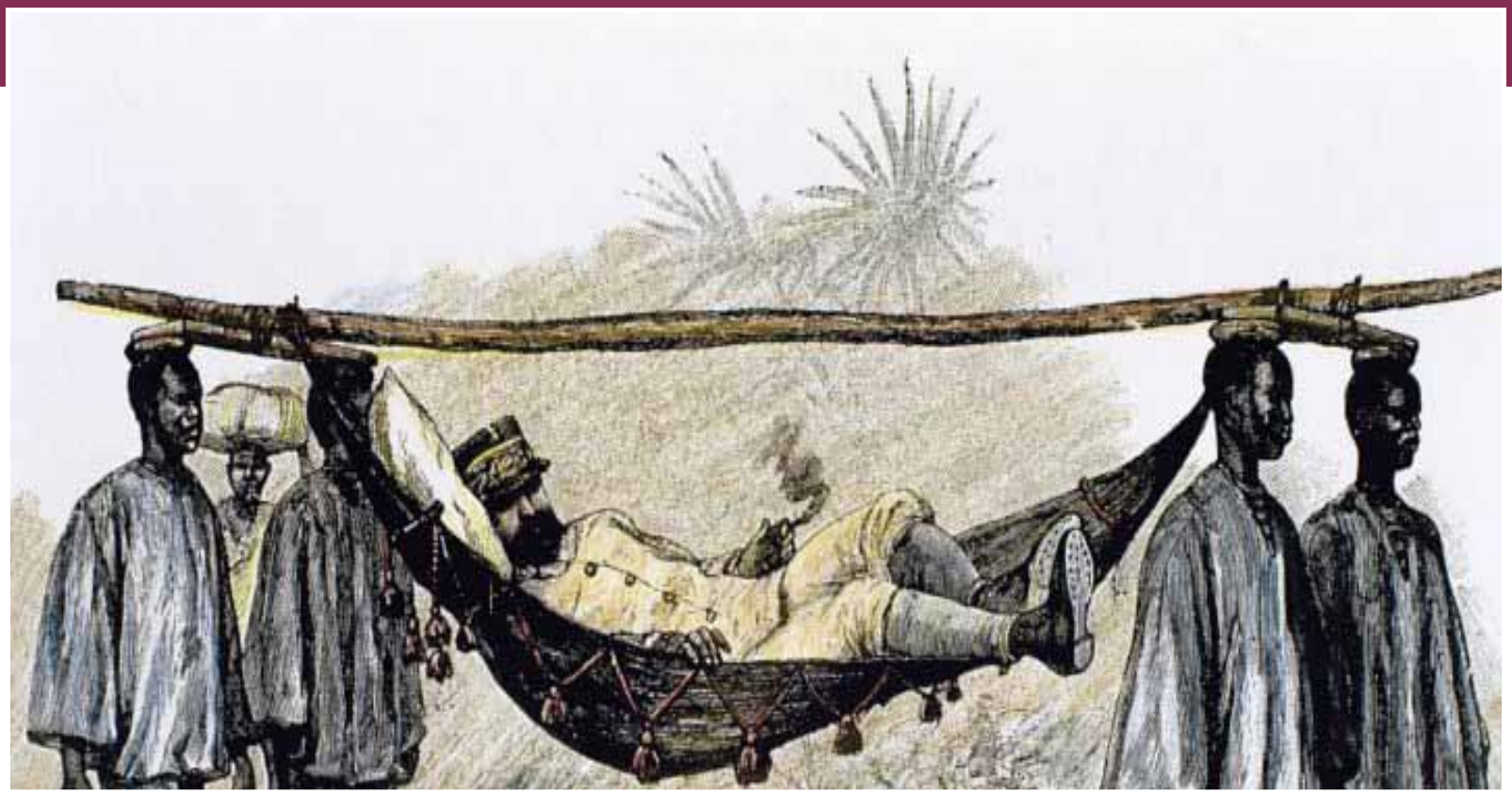

مستعمرات المستوطنين البيض الإنجليز انتقاداً مُحدداً للأهوال التي ارتكبوها:

وبطبيعة الحال، كانت مُعاملة السكانِ الأصليين في أشدها خوفاً في مستعمرات المزارع التي أقيمت حصرياً لتجارة التصدير، مثل جزر الهند الغربية، وفي البلدان الغنية والمكتظة بالسكان، مثل المكسيك والهند، والتي أُعطيت للنهب. ولكن حتى في المستعمرات الحقيقية [أو، المستعمرات الإستيطانية التي تُسمى في اللغة الأسبانية المستوطنات الطابع المسيحي للتراكم البدائي لم يكُن مؤكداً. في عام 1703 قام هؤلاء المُتشددون من البروتستانت، المتشددون في New England، بموجب مراسيم لتجميعهم، بتخصيص 40 جنيهاً استرليني على كل فروة رأس هندية وكل جلد أحمر تم التقاطه؛ وفي عام 1720، تم تعيين 100 جنيه على كل فروة رأس. وفي عام 1744، بعد إعلان خليج ماساتشوستس عن قبيلة مُعيّنة كمُتمردة، تم تحديد الأسعار التالية: 100 جنيه لفروة الرأس من الذكور التي تبلغ 12 عاماً فما فوق، 100 جنيه من العُملة الجديدة، و 105 جنيه مُقابل سجين ذكر، و 50 جنيهاً مقابل السجناء الأطفال والنساء، و 50 مقابل فروة رأس النساء والأطفال. وبعد عدة عقود من الزمن، انتقم النظام الاستعماري من نسل آباء الحجاج الأتقياء، الذين أصبحوا مثيري الفتنة آن ذاك. وعند التحريض الإنجليزي، ومن أجل المال الإنجليزي، لقد تعرضت للسقوط على يد الهنود الحُمر. وأعلن البرلمان البريطاني عن اصطياد كلاب الدم وفروات الرأس "كوسيلة بأن الله والطبيعة قد وضعوهم في يدهم"، أي في يد المستعمرين الإنجليز.

لم يفوت مُلاحظة ماركس أن سعر فروة الرأس يُعادل سعر السُجناء، مما يعني أن الإبادة الجماعية وليس العبودية هي الهدف. وبهذهِ الطريقة يؤكد ماركس على أن الهدف الرئيس في المستعمرات الإستيطانية الإنجليزية في أمريكا الشمالية كان الإبادة «المُطلَقة» للسكان الأصليين. وبالفعل كما وضح الكاتب الإنجليزي ويليم هويت William Howitt في كتابهِ "الاستعمار والمسيحية: تاريخ شهير حول معاملة الأوروبيون للسكان الأصليين في جميع مستعمراتهم (1838)، والذي قام ماركس بدراستهِ لأول مرة في عام 1851، كان الاستعمار الإستيطاني للأمريكيين البيض الناشئين يهدف إلى استأصال وإزالـة تجمعات القبائل الأمريكية الأصلية. هُنا يقتبس Howitt عبارة الكاتب والمُروج الفرنسي Abbé Raynal بأن هدف المستعمرين الإنجليز والفرنسيين هو "إبادة" السكان الأمريكيين الأصليين. ووصف Howitt أيضاً "حملات الإبادة للجنرال أندرو جاكسون"، مُقتبساً إعلان الجنرال جاكسون في 27 مارس/أيار 1814، أثناء حملتهِ العسكرية ضد قبائل الجنوب، بأنهُ "مُصمم على إبادتهم". ولاحظ Howitt أن الشعوب الأمريكية الأصلية، تم دفعها إلى الهلاك أو الإبادة". وهو يكتب في فترة درب الدموع الإبعاد القسري الكبير للسكان الأمريكيين الأصليين من الجنوب الشرقي، حيث لخص Howitt العملية بهذهِ الكلمات:

سوف لن يكون هناك أي شيء يستطيع منع الترحيل النهائي لهذِ القبائل الجنوبية: يجب أن يعبروا نهر الميسسبي إلى أن يتضخم عدد السكان البيض بما فيه الكفاية ليطالبوهم بعبور نهر ميسوري؛ ولن يبقى هناك بعد ذلك سوى عائقين بينهما وإبادة – جبال روكي والمحيط الهادئ. عندما نسمع الآن عن هذهِ القبائل، يكون ذلك بمثابة عمل عدائي جديد ضدهم، شيء من الطرد الطازج لقسم منهم، وعن الهنود المُكتأبين وهم يتجهون نحو البراري الغربية.

في الوقت الذي كان يكتبُ فيهِ رأس المال، كان كتاب Howitt هو المصدر الرئيس لماركس حول المُعاملة الإستعمارية ليس للسكان الأمريكيين الأصليين فحسب بل للسكان الأصليين في جميع أنحاء العالَم. ومع ذلك، في نفس الوقت الذي كان ماركس يتصدى ل Howitt درس ماركس أيضاً كتابي William Prescott تاريخ غزو المكسيك (1843) و تاريخ غزو البيرو (1847)، وكتاب Thomas Fowell Buxton تجـارة الرقيق الأفريقية وعلاجها (1840)، مع أعمال مُتعددة حول الهند.

في خمسينيات القرن التاسع عشر، تفحص عن كثب مُحاضرات Herman Merivale بشأن الاستعمار والمستعمرات (1841). وفي عام 1853، قرأ كتاب Thomas Raffles تاريخ جاوة (1817)، الذي اعتمد أيضاً عليه في معالجتهِ لموضوع جاوة. وتبع ذلك دراسة أعمال إيضافية عديدة حول الرِق، المُشارُ إليه في رأس المال.

كل الأشياء

مواجهةُ الذاتِ/ الموتُ بالتقسيط

فاطمة محسن

عتبة النص (الغلاف والعنوان)

كما يُقال، فإن الغلافَ يُعتبرُ العتبةُ الأولى لدخولِ النص. فمنه تبدأُ الخطوةُ الأولى لعبورِ عالمِ الرواية، ومنه نستشفُ لمحةً عن مضمونِ أو محتوى الرواية. وللغلافِ دلالاتُهُ التي تمسُّ روحَ العملِ الإبداعي، وإلا فلا أهميةَ له سوى كونه غطاءً لورقِ الروايَة. وغلافُ روايتِنا، كل الأشياء تستدعي الوقوفَ والتأملَ أمامه. إنه غلافٌ جاذب، كولاج، يحملُ صوراً لشخصياتٍ معروفة، وكلُ تلك الشخصياتِ رموزٌ محبوبة، على اختلافِ مكانِها، ومكانتِها، وزمانِها، واهتماماتِها، تمثلُ قدوةً وعلامةً فاعلةً ومؤثرةً في حياتِنا، وهي نفسُ الصور والملصقاتِ الموجودةِ في شقة نايف. بعضُ هذه الرموزِ محليةٌ، كأولِ ما يلامسُنا، كونَ الرواية محلية، تتحدثُ عن حدثٍ مهمٍ ومؤثر، يلامسُ المجتمعَ الكويتي، وهو مسيرةُ كرامةِ وطن، التي بدأت مع ثوراتِ الربيعِ العربي ٢٠١١م، حيث أعلنَ فيها نوابُ المعارضةِ عن قضايا فسادٍ ماليةٍ ضد الحكومة والنواب، وتم بعدَها سَجنُ نواب ومغردين وناشطين، واستمرت الأحداثُ في التصاعد ٢٠١٢/ ٢٠١٣م، ومن هذه الرموز الكويتية: عبدالله السالم، وفهد العسكر، وعودة المهنا، وسامي محمد وتماثيله، وبعضها رموز عربية؛ كأم كلثوم، وغسان كنفاني، وطلال مداح، محمد الدرة، ناجي العلي، وبعضها عالمية؛ كتشي غيفارا، وإدوارد دو غاليانو، فريدا كاهلو، مارتن لوثر، جورج أورويل، نعوم تشومسكي.

هذه الصورُ والشخصياتُ بعضُها بالأبيض والأسود، وبعضُها بالألوان، في دلالة على البعد الزمني بينها. تتسقُ مع عنوانِ الروايةِ كل الأشياء، حيث كلُ هذه الرموزُ المختلفةُ والمتشابهةُ في كل شيء، تغري بالقراءةِ والاقتناء.

تدورُ الروايةُ حولَ حدث مركزي، وهو عودة جاسم من الغربة، بعد وفاة والده عبدالمحسن العظيمي، عبر فكرة مواجهة الذاتِ والآخر، إضافةً للصراعِ بين الأجيالِ حولَ المفاهيمِ السياسية.

ومن خلالِ هذ الحدث الآني، تأخذُنا الكاتبةُ في رحلة بين الحاضر والماضي، عبرَ تقنيةِ الإرجاع الفني لمشاهدَ من الماضي (الفلاش باك)، منذ الصفحاتِ الأولى للرواية. وحسبَ نانسي كريس في كتابها (تقنيات كتابة الرواية)،» فإن حقَ الإرجاع الفني يكونُ بعد ذكرِ ما يكفي من الأشياءِ المثيرةِ للاهتمامَ، لتثبيتِ أقدامِنا في الزمنِ الحاضرِ للرواية، قبل أن تنقُلَنا إلى الماضي. وينبغي ألاّ يُشكلَ الإرجاعُ الفني المشهد الأول، كما أنه يجبُ أن لا يَعقُبَ حاضراً قصيراً وخالياً من الحركة". وقد علقَ الكاتبُ حسين عبدعلي على هذا الموضوع قائلاً بأن بثينة العيسى اختارتْ أسهلَ الحلولِ لاستخدام هذه التقنية في الانتقالِ من زمنٍ إلى آخر، عن طريقِ استخدامِ الأفعال (تذكّر وفكّر) بصيغٍ مختلفةٍ مراتٍ عديدةٍ في روايةٍ ليست بالطويلة جداً.

اللغة في كل الأشياء

اهتمت الكاتبةُ بالسرد، والحوار، وتسجيلِ الأحداث، دون أن تحوّلَ السردَ إلى أسلوب بلاغي ولغة معقدةٍ ومنمقة، قد تحولُ دون فهمِ الحالةِ النفسيةِ للشخصيات. هذه البساطةُ خدمت الروايةَ، وأعطت الشخصياتِ مساحةً كبرى للبوحِ بالأفكار، والمشاعر، والتنفيسِ عن حالاتِ الغضبِ والإحباط، والكشفِ عن مكنوناتِ النفسِ بكل بساطة. وعلى الرغم من عشقي للغة،وإيماني بأهميةِ الموازنةِ في الكتابةِ الروائيةَ بين عذوبةِ اللغة وبراعةِ السرد، إلا أن بساطةَ اللغةِ في كل الأشياء ساعدتني كثيراً في العملِ على فكرةِ التحليلِ النفسي لشخصياتِ الرواية، والبحثِ فيما يريدُ أن يقولَهُ النصُ الروائي.

وبعيداً عن نقدَ الكتابةَ الفنيةِ المتخصصة في تحليلِ الرواية، من خلالِ تقنياتِ الكتابةِ والبناءِ الفني، والاشتغالِ على عناصرِ الرواية، ولإيماننا بأن الروايةَ لم تعد مجردَ سردٍ وخيال، بل هي عالمٌ من التقنيات والأشكالِ تُبنى على أسسٍ جماليةٍ ومنطقية، لتواجه التحولاتِ الكبرى التي يمرُ بها هذا العالم، الذي أصبح أكثرَ تعقيداً وانغلاقاً، وأمامَ كلِ ما يحدثُ من غرائبَ وعجائبَ وأسرارٍ تكادُ تأخذُنا أخذاً للجنون، يأتي دورُ الروايةِ وقدرتُها التي يتيحُها لها السرد في الدخولِ إلى مناطقَ عميقةٍ داخلَ النفسِ الإنسانية لاستخراجِ مالا يُقال، واكتشافِ الوجهِ الآخرَ للإنسان؛ الوجهُ الذي نخفيهِ حتى عن أنفسنا، ثم نصطدمُ به ونواجهُه، كمن يواجهُ شخصاً غريباً لا يعرفُه.

ندخل للروايةِ من منظورِ التحليلِ النفسي لشخصيةِ جاسم، وصراعِه مع نفسه (صراع الذات)، إضافةً لصراعِه مع والده، والذي يمثلُ (الصراعَ مع الآخر)، صراعُ الذاتِ بين ما تعتقدُه وما تعيشُه.

بدأ صراعُ جاسم مع نفسه بعد دخوله السجن:

«في كل مرة يدخلُ فيها الصاجة، كان يغادرُها ناقصاً، كما لو أنه يموتُ بالتقسيط

كأنّ الصاجة هي المكانُ الوحيدُ الذي يقدرُ على استيعابه».

إن مواجهةَ الذات من أصعبِ الحروبِ التي يخوضُها الإنسان، والتي لا يمكنُ لأي إنسانٍ أن يتعرّفَ على ذاته إلا بالمواجهةِ التي غالباً ما تكونُ مرعبةً ومخيفة، صعبةً ومعقدة، وتتركُ آثاراً عميقةً في النفس؛ أن تكون أنت في مواجهةٍ مع نفسك.

« فكّر وهو يعود إلى العنبر تلك الليلة، إن كانت تلك خُطتُه، إن كان هو الخصمُ الجديرُ بالاحترامِ الذي كرّس نفسَه لإنهاءِ أمره».

يعتقدُ البعضُ أن هذه المواجهةَ سهلة؛ لمعرفة الإنسانِ بنفسه، لكنْ ما إن يخُضْ المرءُ هذه التجربة حتى يعرفَ تماماً مدى صعوبتِها وقسوتها، بل إنها –بلا مبالغة– محيرةٌ، مرعبةٌ، وصادمة. إنها المعركةُ التي تضعُكَ أمامَ اكتشافاتٍ ونتائجَ مربكة ومتصدعة، تشعرُ باضطراب وأنت تغوصُ داخلَ ذاتك، تبحثُ فيها عما تؤمنُ به، عما تدافعُ عنهُ دائماً، تمارسُ الغوصَ أكثر، تحاولُ جاهداً أن تكتبَ نفسَكَ بجملة صحيحة، لكنك لا تستطيعُ إلا أن ترى نفسَك مفككاً ومقطعاً ومنقسماً. تقف أمامَ المرآة، مرآة النفس، صارخاً أمامَ هذا التدخل في الأحاسيس، والذكريات، في الأفكار، الزمانِ والمكان، يتداخلُ الخيالُ بالواقع، المعقولُ باللامعقول، الرمزُ بالمباشرة، تختلطُ الأصواتُ واللغات، الذاتُ تصرُخُ وتصرخُ، فتسمعُ أصواتِ الآخر، الحاضرُ، الماضي، حتى يضيعَ صوتُك تماماً، ويختفي كلُ شيء، لا شيءَ سواكَ أنت وذاتك والخوف، الخوفُ الذي يضعُكَ أمام حقيقتكَ التي كنتَ تُخفيها بالمثاليات، أنت أمامَ نفسكَ عارياً، إلا من ذاتكَ والألم. هكذا تماماً؛ أنت تموتُ بالتقسيط، أو تولدُ من جديد، «لذلك غادر جاسم السجنَ كافراً بالرمل، والدم، وبالأرض، والناس، وفوق كل الأشياءِ التي كفر بها كان كافراً بنفسه".. "عرف بأنه ضحية، وليس بطلاً، وأن الهزيمةَ تَنخرُه حتى عظامه»..» لذا، حين حدثته دانة عن الوطن، حدثَها عن الرحيل، وحدثتُه عن الإيمان، حدثَها عن الشك، وحين حدثته عن النصر، حدثها عن الهزيمة"..كان يؤمن –بعد خروجه من السجن– بأن الخصمَ أكبرُ من أن نتصدى له جميعاً.

العلاقة بين عبدالمحسن العظيمي وجاسم (الصراع مع الآخر)

تقول بثينة العيسى في روايتِها –على لسان جاسم–: نحن نخترعُ العلاقاتِ لكي نصنعَ المعنى، كي لا نعترفَ بأن العالمَ

بلا معنى. وعليه، فإن العلاقةَ بين عبدالمحسن العظيمي وابنه جاسم علاقةٌ تنافسية، حيث نرى جاسم يتصرفُ بوعي أو بدون وعي، وبمحاولاتٍ كثيرة، في ظاهرها يبدو لنا أنه يختلفُ مع والده في كل شيء، إلا أننا سنرى وبشكل واضح أن جاسم يسعى لأن يكونَ صورةً من أبيه، بل إنه يعملُ جاهداً أن يستولي على القوة والسلطة والكفاءة التي يتمتعُ بها والدُه. بعبارة أخرى: يريدُ أن يُشبهَهُ ويتخطاه. لذلك، كان ذلك الشجارُ الدائمُ بينهما، ومعارضةُ والده في الكثير من الأمور، لاسيما في كل ما يتعلقُ بالكتابة والسياسة؛ كان يريدُ أن يكونَ صورةً من والده الذي ألهبَ قلبَهُ بأخبار المظاهراتِ والاعتصامات، واجتماعهم كلَ اثنين في الدواوين بعد أن عُطِّل البرلمان. في الوقت ذاته، كان عبدالمحسن العظيمي يعرفُ ذلك عن ولده، ويريدُ أن يُبعدَه عن هذا الطريق، الطريق الذي سلكهُ الأب، وخَبِرَ نتائجَه، وعاش معاناته. كان يريدُ أن يجنّبَ ابنَهُ تلك التجربة المريرة، بكل ما تحملُه من ألم وتعب واستنتاجات. لذا، أخذَ على عاتقه أن يسفّه تصرفات ولدِه، ويصغّرَ من شأنها. يخبرُه بأنه مردم: «كان أبوه يردّدُ عليه مراراً أن السياسةَ ليست لأمثاله، لأنه مردم، ولأن دمَه مسمٌ بالمثاليات، وهذا ما صدم جاسم. فعبدالمحسن العظيمي –بالنسبة له– فكرةٌ أكثرَ من كونه رجلاً. فكان صعباً عليه أن يكتشفَ بأن هذه الفكرةَ التي أحبَها وآمنَ بها إنما هي فكرةٌ زائفة، وهذا ما جعله يصرّ على الدفاع عن فكرته، ويخوضُ التجربة، ويعيشُها بكل تفاصيلها، ويخرجُ منها بنتائجه الخاصة به.

كان معجباً بوالده عبدالمحسن العظيمي، هذه الشخصيةُ التي تلبَّستهُ حد الجنون، لكن الكأسَ المليءَ بالماء انكسر،وانكسرتْ معه كلُ الأشياء، بعد أن وجدَ والدَه في إحدى نقاشاته يدافعُ عن السلطة. وجد جاسم أن هذا الكلامَ الذي قاله والدُه هو خيانةٌ للنفس، لدرجة أنه طلبَ من دانة أن لا تسمحَ له أن يتحولَ إلى أبيه، إلا أنه –بعد خوض تجربة السجن والانفرادِ في الصاجة– اكتشفَ هناك، حيث الوحدة والخوف والألم ومواجهة الذات القاسية، اكتشف بأنهم –كما كان يقول والده– أغبياء سياسياً، وإن أفضلُ واحد فيهم يرتدي حفاظةً بامبرز. لذلك قررَ أن يكفَ عن المشي، لأنه متأكدٌ بأنه ما من وصول على الإطلاق، وأنه –كما رأى في حُلمه– إنما يمشي في الفراغ، ويواجهُ جداراً أبدياً، زجاجياً، عاكساً، ينادي دونَ أن يُسمعَ صوتُه.

ما بعد السجن:

خرج جاسم من السجن وقد قتلتهُ المشنقة تماماً، لذا كان لابد أن يهرُب، يهربَ من نفسه، بعد أن اكتشفَ حقيقتَه، ومن والده الذي كان يخشى أن يَشمُتَ به، ويذكرَهُ بكل ما رفضَ تصديقَه، ومن دانة، دانة التي كانت تُهونُ عليه مرارةَ السجن، لكنه كان يؤجلُ مصارحتَها بالحب حتى يخرجَ من السجن. وحين خرج، كان قد اكتشفَ ضعفَه وجبنَه، وأنه ليس حديداً كما كان يعتقد. لذا، كان الهروبُ هو الحلُ السهلُ والسريعُ لكل ما واجهَهُ في سجنه، ولكل ما عرفَه هناك. عرف أن لا بطولةَ في الألم، وأن ما يؤلمنا ليس الماضي، بل المستقبلُ الذي لن يُحدثَ كلَ الاحتمالات المهدرة لذلك الشخص الذي كان بإمكانكَ أن تكونَه. أربكتهُ الأسئلةُ عن الوطن: ما هو الوطن؟ ماذا لو كان مجردَ نظام للسيطرة عليك؟ دينٌ جديد؛ بآلهة، وأنبياءَ، وطقوس، وأناشيد، وشعائرَ، مؤسساتٍ بأكملها لمنحِ صكوكِ الولاءِ والخيانة، نظامٌ كاملٌ لامتلاكك، فعّالٌ إلى درجة تدفعُكَ لذرف الدموع في حالة سدد منتخبُك هدفاً في مرمى الآخر. عرفَ بأن هناك من يبُعد إلى بلاده، وأن كلَ البلدان بعيدة، وأنه مملوكٌ في النهاية من خلال ما يسمَحونَ له بامتلاكه، وأننا لو خُيرنا بين الخبز والحرية فسنختار كلُنا الخبز. هرب بعيداً ليداري الغريبَ الذي اكتشفَه بداخله، ويلملمُ ما تبقّى من كرامته بالهجرة.

ما بعد العودة:

" تساءلَ إن كانَ المردم يعودُ إلى قفصه للمرة الثانية.. هل غادرَ القفصَ أصلاً؟ أيُ قفص منهم؟».

عاد جاسم للوطن مرغماً لحضور جنازة والده، عاد دون أن يداوي جراحَه، عاد بجراحه المفتوحة ليواجهَ كلَ ما هربَ منه وعنه، عاد من غربة عن الوطن ليعيشَ في غربة بوطنه وبين أهله،» وكما يقول الشاعر:

وما غربةُ الإنسانِ في غيرِ داره
ولكنَّها في عيشِ مَنْ لا يُشاكِلُهْ

كان عليه أن يحضُر مراسمَ الدفن، أن يكبِّر أربعَ مرات في صلاة ما عاد يفهمُها، وأن يأخذَ مكانَه في الصف الأول بين أناس لا يُشبهونَه ولا يُشبهُهم، أن يستقبلَ المعزينَ الذين نسيَ وجوهَهم وأسماءَهم،

عاد ليدفنَ والدَه، أو ليدفنَ تلك الفكرة التي ما عاد مؤمناً بها، لولا أنه يعرفُ أن والدَه لايموت. فعبدالمحسن العظيمي هو فكرةٌ أكثرَ منه رجلاً. سيظلُ مشدوداً إلى أبيه دائماً، بذلك الحبل السري المجدول من خيبة أمله، وليس في وسع الموت، أو الحياة، أن يفرّقا بين اثنين تربطُ بينهما علاقةٌ مثل هذه.

كان جاسم في تلك الأيام يؤمنُ باجتثاث الخطأ، وخلق الصواب. لم يكن يؤمنُ بتطويع الخطأ لخلق الصواب، أراد حلولا جذرية، صنبوراً غيرَ مكسور، وإمدادات ري بالتنقيط لنخلة الحوش، وحديقةً حقيقية، لكنه عرفَ أن هذا غباءٌ سياسي. فوالدُه كان يقولُ له: إنك لا تستطيعُ إسقاطَ نظامٍ قائم، فقط تستطيعُ تطويرَه.

لماذا يتصالحُ الناسُ مع خطاياهُم، في الوقت الذي يجبُ عليهم إصلاحُها؟ هل عاد ليدفن والدَه، أم ليصلحَ ما تركهُ خلفَه من أخطاء؟ هل عادَ ليثأرَ لدانة التي غادرتْ دفاعاً عن مبادئها في محاربة الفساد، وليكفّرَ عن ذنبه في تركها وحيدةً تصارعُ الجبناءَ وحدَها؟

النهاية

قد نتوهمُ–للوهلة الأولى– أن النهايةَ ضعيفة، فكيفَ يفوتُ بثينة العيسى أن تجعل بطلَها يرُسل مقالتَه التي تكشفُ سببَ مقتل دانة بعد مغادرته البلاد، ونحن في زمن الميديا وسرعة وصول الرسائل؟لماذا يرسلُها قبلَ المغادرة، ليتمَ القبضُ عليه في المطار، كأي مبتدئ يتهجّى ألفَ باء السياسة؟ لكنها أرادتْ أن تؤكدَ لنا بأنه مردم –كما قالَ عنهُ والدُه– عصفور، غبي، أثوَل، يتخبَّطُ بالجُدران، ولافتات الشوارع، عصفورٌ أحمق، يصطادُ نفسَه بنفسه، يدخلُ البيوت، ثم يعجزُ عن العثور على طريق الخروج، ويأخذُ في الصراخ حتى يكتشفَ الجميعُ مكانَه، يأتي صبيةُ البيت للإمساك به، يقبضون عليه، ويُحبسُ في قفص.

نتساءلُ في النهاية، كما تساءل جاسم: هل كان ثائراً حقاً، أم أنه مجردُ عاشق؟!

بثينة العيسى و«كل الأشياء»

«أنثى السراب»:
معاناة تُعاش في الظّل

«هل سبق وأن قرأت رواية عشت وقائعها بالتمام والكمال؟» – سألني أحد الأصدقاء، مضيفًا: هل لك أن تتصور حالك وأنت تقرأ روايتك طولًا وعرضًا أحداثًا مرّت بك كالطيف الهارب منك تلك السنيين وأنت ترى هشاشتك النفسية في عدم مقدرتك على أن تواجه تلك الحالة المستعصية وكأنك رجل من ورق؟

حميد الملا

تلك الأحداث الواردة في الرواية تعيدك إلى حالتك التي يجب أن تعيشها واقعيًا قبل تلك السنين فجروحا قد استفيقظت لم تكن في الحسبان، ولكن للحياة أحكام. قد تكون الأنانية هي ما تجعلنا نودّ ألا يفلت منا من نحب، حتى ولو كان لغيرنا ولا يود أن يستمر في علاقة معنا قد انكسرت، ولكن أن تستيقظ فيك تلك الهواجس بعد تلك السنين الطوال أمر لا ينم إلا عن أن تلك الأحداث ظلت مخبأة في داخلك ولا تريد أن تقّر بواقع الحماقات التي مارستها خارج مدارك الحياة الواقعية بحكم الموروث الاجتماعي والتقاليد البالية التي لا تجعل من كل الأطراف في حل منها.

بقى لهذه الذاكرة أن تشيخ إلاّ من أحداث مثل هذه تستدعيك يومًا في البوح بما هو مكبوت في دواخلك خلال تلك السنيين، وقد ذهب من ذهب إلى الحياة الأخرى وأنت متربع في وسط هذا الضجيج الداخلي المؤرق الذي يسرق منك بقية ملذاتك في الحياة رغم وجودك الواقعي مع من تُحبّ ووجود ذريتك ونسلك، إلا أنك تعيش حالة انفصام لا إرادي.

هل نتج كل ذلك عن قراءتك لرواية؟ – سألته – أم أنك كنت فعلاً مهيأ لذلك؟ أمر محيرفعلاً، هل لهذا الشعورشيء من الواقعية؟ وما هي تلك الرواية التي جعلتك تبوح بأسراريفترض أن تظلّ مطمورة في بيتك، قال أقترح عليك قراءة رواية واسيني الأعرج (أنثى السراب).

ثم عاد، وقال لا أدري ولكن هذا الإحساس لازمني واستمرّ، وليس بالإمكان التخلص منه وأنا في مصيدة تلك الرواية المعذّبة التي أخذت مني فرحي وتركت بصماتها على كل مسام جسدي المنهك أصلًا!. لا شك أن الحياة صعبة ومعقدة شئ ما، ولكن أن تظهر لك كل تلك التعقيدات من خلال رواية، فهذا قد يعني أنك إنسان من ورق فعلًا.

كيف لهذا القلب أن يتعافى من تلك الجراح ولا أقصد بهذا أحدًا منا، فكلانا منهكين ومخدوعين قال، فللمرأة أن تحب وتختار من تُحب، وتلك هي الأقدارغير المنصفة لكلا الطرفين، مما ولّد هذه الحالة الشاذة في إقتسام الحياة، فكيف لنا أن نفسر اقتسام الحياة الزوجية في سرير تفكر فيه زوجتك في رجل آخر – تساءل – وهي في أرقّ اللحظات الحميمة وفي فتنة الفراش المشترك؟

يقول واسيني الأعرج في روايته (أنثى السراب): «نظلّ له وحده حتى في أدق اللحظات حميمية. تصوّر حتى عندما أنام معه، أجدني في الفراش معك ولست معه، ظللت وفيّة لرجل واحد، حتى وأنا في فراش غيره».

أسئلة نكش جروحها واسيني الأعرج في روايته هذه، لتعيد حالة إنكار نعيشها نحن البشر في مجتمعات لا تؤمن بحرية المرأة في الاختيار، ونتجرع مرارتها لاحقًا بعد تلك السنين لنموت ونحن نعتقد بأننا اجتزنا تلك المحن والخيبات والنكبات ولكن كل ذلك يتضح بأنه حمل كاذب. نكأ واسيني الأعرج جراحًا لم تندمل بعد، وفتق جروحا كنا قد اعتقدنا بأنها قد تعافت ولكن كل تلك الجروح فتحت على مصاريعها منذ أول سطر من تلك الرواية.

كيف لنا أن نفسر تلك الولادات القسرية بين تلك الأزواج؟ هل هي بحكم العلاقة الخالية من أية عاطفة، وبالتالي العلاقة البيولوجية البعيدة عن الحميمية؟ وهل هي بحكم الواقع المفروض على الطرف الضعيف، وهو بالتأكيد المرأة في مجتمعاتنا؟

لا شك في ذلك، وعليه تصبح تلك العلاقة في أرجوحة الوفاء بالتزامات المجتمع لا غير، بعيدًا عن العواطف

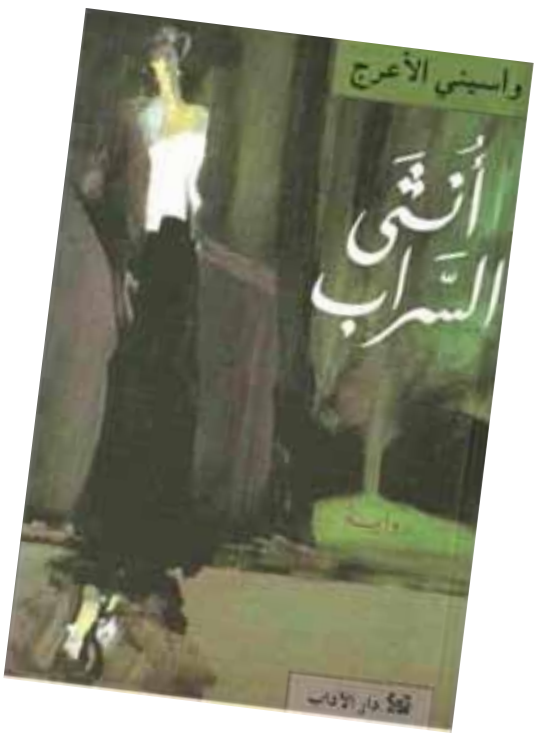

الجياشة والحب الصادق البعيد عن الرياء.

هل يعني ذلك بأننا كنا مخدوعين طوال هذه السنيين أم كنا نعيش في ظل سراب يغطي عواطفنا الحقيقية من أجل مجتمع لا يفهم معنى للّعواطف ولا يقيم وزنًا لسلطان الحب؟ وهل هناك من مرارة شبيهة بالموت أكثر من أن تعيش مخدوعًا مع شخص يحب غيرك وأنت معه تحت سقف واحد؟ وأسوأ خيانة للرجل والمرأة على حد سواء، وأقساها وأكثرها ظلمًا هي أن تعيش امرأة معك وهي تحلم بغيرك، «فالهزائم الروحية التي لا قوّة في الدنيا تستطيع ترميمها، مدمرة عندما تتوغل بين العظم واللحم»، كما يقول واسيني الأعرج .

الجرأة التي تحلّت بها تلك الزوجة في رفض زوجها المفروض عليها قسرًا قوبلت بقسوة من أهلها وذلك الزوج المخدوع ظل وفيًا لأحساسيه المشيدة على كذبةٍ أراد لها أن تكون غير ذلك من إقناع نفسه بأن كل تلك العلاقة مع من تحب كانت نزوة عابرة، واقتنع بهذا اليقين المبني على تلك الكذبة زاعما أن العواطف تجاه الحبيب تزول مع الأيام وتخبو وإذا بها تعود في كل محطة من محطات الحياة.

أبدع واسيني الأعرج في تصوير تلك الحالة من خلال الرسائل المتبادلة بين الحبيب (سينو) وحبيبته (ليلى)، وسرّب للقارئ وقائع مسكوتًا عنها ومخبؤة في دهاليز أسرة الأزواج. أوليست أغلب بيوت مجتمعاتنا تعرف مثل هذه الحالات، نراها تتعذب وتنوء تحت ثقل هذا الوضع الملتبس المؤذي للشعور، والمنهك للنفس وللقلب؟ أم أن كل ذلك من نسج خيال الراوي؟ أوليس الراوي من لحم ودم وهواجس وكوابيس يعيش الرواية كما هي في الواقع؟

ترك واسيني للقارئ الحصيف أسئلة غير قادر على فهمها ولا هضمها ولا حتى رتقها. قلت له مودعًا كما قال واسيني في روايته (أصابع لوليتا): «تعلّم كيف تنسى آلامك أو تكتبها لتستمر في الحياة بأقل الكوابيس ضرر».

رواية جديرة بالقراءة وهي محصلة لمعاناة يعيشها الكثير، ولكن في الظل بعيدًا عن أعين المجتمع لتترك لمصيرها تتألم وترتعد وتقفز من نومها جزعًا وخوفًا كما يقول الكاتب، فالحياة نعيشها بأشكال مختلفة، لكن الألم واحد في النهاية، فأي ألم قاتل أكثر من ذلك وأي سراب يعيشه المخدوعين؟.

عيسى بن راشد

كرة الشعر التي أصابت الهدف

لا يمكن تخيّل ذاكرة الأغنية الحديثة في البحرين، وفي منطقة الخليج العربي عامة، دون الوقوف، وبالتفصيل، على الأثر الكبير للمرحوم الشيخ عيسى بن راشد آل خليفة الذي رحل عن دنيانا، عن نحو ثمانين عاماً، وظلّ حتى آخر حياته محتفظاً بروحه الطيبة المرحة القريبة من قلوب الناس.

فالكثير من أشهر الأغاني في البحرين والخليج التي صدحت بها الأصوات الكبيرة مثل أحمد الجميري والمرحومين محمد علي عبدالله وفرج عبدالكريم، وإبراهيم حبيب وآخرين سواهم هي من كلمات عيسى بن راشد، بكل ما تختزنه من رقة وعذوبة وقرب من الروح الصميمة للبيئة المحلية، هو الذي عاب على كتاب الأغنية والمطربين الجدد جنوحهم نحو مفردات ونصوص غريبة عن بيئتهم، بحيث يمكن القول إن عيسى بن راشد كان أحد أبرز عناوين مرحلة ثرية من الأغنية البحرينية، المحمولة على كلماته وكلمات من كانت لهم نفس الروح مثل الشعراء علي الشرقاوي وعلي عبدالله خليفة وإبراهيم بوهندي والمرحوم عبدالرحمن رفيع.

ولد عيسى بن راشد عام 1939 وعاش صباه وشبابه في مدينة المحرق، المدينة المتشربة بالفن والثقافة، التي ظلّ وفياً لها ومسكوناً بحنين لم يفارقه نحو ذكرياته فيها، وقد جسّدت ذلك، على خير وجه، قصيدته «ولهان يا محرق»، التي غناها الفنان إبراهيم حبيب، وهي ليست الأغنية الوحيدة التي تشفّ عن هذه الروح العذبة للشاعر الراحل، في تعلقه بوطنه وحبه له وفخره بالانتماء إليه، ومنها مثلاً، أغنيتا «يالزينة ذكريني»، و»من خلقت الدنيا» اللتان غناهما الفنان أحمد الجميري، ومن الأغاني التي كتبها وذاع صيتها أيضاً: «واقف على بابكم»، «دعيت عليك من قلبي».

تخرّج عيسى بن راشد في كلية الحقوق بجامعة عين شمس بالقاهرة عام 1963، وعمل في عدة مواقع بينها القضاء ووزارة الدفاع، التي أصبح وكيلاً لها في فترة من الفترات، قبل أن ينتقل إلى منصب وكيل وزارة الإعلام في الفترة (1976– 1988).

توليه لرئاسة المؤسسة العامة للشباب والرياضة، لاحقاً، وكذلك رئاسته للاتحاد البحريني لكرة القدم واللجنة الأولمبية البحرينية، أبرزت وجهاً آخر محبباً للمرحوم، تبدى في تعلقه بكرة القدم، وارتبط اسمه طويلاً بدورات كأس دول الخليج وغيرها من الدوريات لفترة طويلة، وكان، بدون منازع، الوجه الأبرز بين المسؤولين والإداريين في الفرق الخليجية، وتميزت متابعاته وتعليقاته بالطرافة، التي قرّبته من روح الرياضيين، حتى أطلق عليه وصف «فاكهة كأس الخليج»، لما كانت تشيعه تعليقاته، باللهجة المحرقية المحببة، من بهجة وفرح في نفوس الجميع.

حين فازت فازت البحرين بكأس دوري الخليج 24 ، قبل شهور، أهدى كثير من المغردين والمعلقين واللاعبين الفوز إلى عيسى بن راشد، وعلى نطاق واسع جري تداول مقاطع فيديو له وهو يروي طرائف ذكرياته في مجال كرة القدم.

هل ثمة علاقة بين الولع بالشعر والولع بكرة القدم؟

الجواب نجده عند يفغيني يفتوشينكو أهمَّ شاعرٍ روسيٍّ في النِّصف الثَّاني من القرن العشرين، الذي كان في شبابه لاعب كرة قدم، ومنها تعلم أشياء كثيرة في الحياة. أصبح حارس مرمى، وتعلَّم أنَّ الأهمَّ ليس أنْ يتقن اللاعب الهجوم فحسب، ولكنْ أنْ يراقب مراقبةً يقظةً أيْ حركة من حركات الخصم، وأنْ يعرف كيف يحبط حيله ويتكهَّن بنياته.

لكنه يرى أنَّ قواعد كرة القدم أبسط من قواعد الأدب؛ فإذا سجَّل اللاعب هدفاً فالدَّليل الحقيقيّ على ذلك يظهر للعيان فوراً:

الكرة في الشِّباك، وعلى عكس ذلك فإنَّ على الشَّاعر أنْ ينتظر الكثير؛ ليثبت أنَّ كرته قدْ أصابت الهدف. منجز عيسى بن راشد الشعري/ الغنائي يقطع بأن كرة الشعر عنده أصابت الهدف.

مثل أية رواية حزينة

بتول حميد

ومثل أية رواية حزينة..
ببداية مرهفة
ونهاية تراجيدية
ستترك حبيبتك وتقترن بامرأة عادية
تهذب أظافرها على صوت نشرة الأخبار
تشرب الحليب المحلى بالعسل
وتنتعل صندلاً منخفضاً
كي لا تفوقك طولاً..
امرأة لا تقرأ عليها الشعر
ولا يكتب شوقك إليها مطلع قصيدة
لا تميّز ابتسامتك المندهشة من المنهزمة
تنهار آخر النهار على ذراع أريكة
ولا تختار
أن تأوي إلى كتفك
امرأة لا تتلوى على شالِ أغنية
ولا ينام على صدرها ديوان أثير
لا يجافيها نوم
ولا يسكنها حلم..
تكتفي بقبلة باردة
بغواية عجلى
وعناق موارب..
تهندم جسدك أمام مرآتها
بوقار بدلة كلاسيكية
يبكي داخلها
جنون مراهق..

الشعراء موبوؤون

سوسن دهنيم

لن تقبلَ بهذه النهاية!
العاشقةُ التي تَرَكَ سريرَها عاشقُ الكلام
كان كلَّما قرأها شعراً، حمّلها عبئاً مزيَّناً بالحنين
يذوِّب الشمسَ على شفاهِها،
ويَسقيها من أبجديتِه محوًا لا يغادرُها طعمُه قبل العناق

يسأل بشار بن برد عن غزلٍ، فيجيبه أبو العلاء عن فلسفة
الرحيق

الشعراء موبوؤون بالأحرفِ وكلٌ لقصائدِه رسولٌ..

لماذا تنسى العاشقاتُ أحلامَهن حين يهيِّئن البيتَ لشاعرٍ قادمٍ من
غياب ؟
لماذا يضعن رؤوسَهن في ترابِ النسيان
ويُغْلقْن على خزائنِ أسرارِهن؟
يخلعْن أحزانَهنَّ كلَّما لاح أملٌ،

وما إن تتكسر الأخبار حتى تبدأَ الحكايةُ مع الرحيل
يهتدين بالنجومِ كلَّما عنَّ عليهن اليأسُ
وحين يختبرنَ أصواتَهنَّ يفاجأْن بالخرس
عاشقاتٌ دَهَنَّ مرافئَهنَّ بزيوتٍ عطريةٍ تُدوْزِنُ الأمواج،
علّ الغائبين يُطِلُّون
غير أنه السراب،
فيشهقن باليأس

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 149 ـ إبريل 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

مدائن ما بعد الكارثة

عن النص: شاعرٌ في تأملاته يزورُ مدينة المستقبل، بعد حلول كارثة كونيّة. ويتحاورُ مع ساكنيها.

أحمد رضي

1

في الهدوءِ المُتْقن، في الهدوءِ الصّافنِ كالجسدِ النشوانِ قُبيلَ توهُّجِ الفكرة، إزميلٌ ذو إيقاعٍ فريد. يدوِّن في الأوقيانوس المتجمِّد شمساً كُبْرى، وكانتْ للشّمسِ غايةٌ واحدة، أن تسْطع على المدائن التي أراها: يا لآلافِ الجُسورِ المعلّقةِ كإشراقاتٍ صوفيّة.

يا للتماثيلِ تُسَامقُ التآويلَ كأنّها التّرانيمُ مُحنّطةً.. أو هيَ الأزليةُ إنْ نَطقتْ في الحجر.

يـا للمعارف المُستقاةِ مـن كينونةِ النبْع: (تكنولوجيا الروحِ ـ لاوعيُ الأفلاكِ والمجرات ـ تاريخُ النبيذ ـ قوانينُ النُّعاس الإلهيِّ ـ ترجمات الكُمثرى ـ هندسة الفراغ)مُدنٌ.. تنتعظُ كألحانِ سَكْرى في نوتاتٍ بتهوفن. مدنٌ حرّةٌ من تعاليمِ الغُمرانِ كأنَّ أصابعِ الكَمالِ طَيَّعتْ حدْس القَصْدير، أو أنَّ منقارَ الخُرافةَ إعتشَّ في همليايا المعنى. مدنٌ تتـغنّجُ بالريفِ قلائدَ في جِيد الرُّخَام وتَنْتعل الغابة. مدنٌ صَمتٌ يَلعقُ فروةَ الأبدِ الكَسولِ ويهزُّ المَجازَ ذيلاً، مدنٌ لغاتٌ تهرولُ في العُروقِ فلا معاجمَ أو أعاجم. لاغريبٌ يحنُّ إلى حنينٍ هناك. وأما الغريبةُ فهي آثارُ أقدامِ الصّدى في مَرْمرِ الرِّئتين.

2

لَمْ يكونوا بـوذيـيّنَ، كـانـوا "بوذا" بأصابعَ مِطْواعةٍ للّعبِ بـأزْرارِ الأجْـرام، ولَهُم في الفُكاهةِ تَصانيفُ شتّى لَمْ تمُرَّ ببالِ أرسطو: فُكاهةُ الشّك واليقين، فكاهةُ العَدم يَلْعب الغُمْيضةَ مع الذّكاءِ الاصطناعيِّ في حديقةِ الغموض، فكاهةٌ تُنَبِّذ الزّمنَ، وتَرْشفُ المُفاجآتِ بأقداحِ الأقـدارِ، فكاهةٌ تـوازنُ أدْرينالينَ الكون وتَحـلُّ معادلاتِ الدّهشة. رأيتُهم أفرادًا كأنَّهم دُوَلٌ، ملوكاً بلا ممالكَ، أشْياعاً في العُزلةِ الرهبانيةِ يُؤْمنون بحكْمة النّمل، ويَكْتُبون قصائدَ في فلاحةِ الإنسانِ. أعْمَالُهمُ الفُنونُ الجَميلة إنْ عَملوا. رأيْتُهم أجْساداً من سِيلكون العِرْفانِ وفي وجوههم.. ظِلُّ ابْتساماتٍ خالدةٍ .. كتلك التي تَرْسُمها دَغْدغاتُ المَعرفة.

سَألْتُهم عن سرِّ الكارثة، وعن إنساننا الّذي كُنْتُ وكَانُوهُ ، فألْقوا في قَلبي كلماتٍ كالأُحْجيةِ، كلماتٍ كأنّي في العَمَاءِ الأوّلِ قد لمستها تَتَمَاوجُ في مَاءِ الرَّحِمِ المالح .فقالوا:

«عندما تُفتقَد السّعادة، تَسْتعدُّ الكارثة للعرس»

«أنْ تشعر بالذّنب، وأنْ تسقي وردة الكراهية»

«كنتم لا تسألونَ الشّجرةَ "ما اسمك؟"، بل تمنحونها اسمًا"

«انْحِرافٌ بسيطٌ في عجلات القطار»

«بوصلة لا تُشير إلى الجَمَال»

«الرّجل الذي يُمْسك مهْماز الوقت وآلامَ البطن»

«مَنْ يرى الفراشة ويقول: يالهُ من استثمار جميل»

« كان هناك أَحْمقٌ لا يَعْرف كيفَ يَضع الضّمائر في جملةٍ مفيدة، مثلاً : كان يضع "أنا" مكان "ه " ولكَ أن تتخيلَ طَرائفه العجيبة»

3

أللمدائنِ أبـوابٌ لأطرقها ؟. سألتُهم. ضحكوا، ثم أشاروا للذّاكرة فانبثقتْ في الماء الأملس فَسيلةٌ خَضْراءُ تطَاولتْ، حتى تدلَّتْ من سَعفاتها صُوَرٌ شتّى:

تـلـكَ أبـوابـكـم الـتـي قدسـتـمـوهـا، وظـنـنـتُـمْ أنّـكـم الـعَـارفـون مـا أنـتـم ومـا الآخـــرون ،

بابُ المتاحف: سوّاحٌ يغتصبون المـونـالـيـزا.
ممالكُ تبحث في البُراز عن تاج وصـولجـان
حتفٌ سكّيرٌ بمعطفه المرقع ولحـيـتـهِ
الرثة يُرْشد الزوار للحكمة!

باب صناديق الاقتراع: نفرٌ من المُكبّلين يبحثون عن الحُريةِ في صندوق أبكم!، أفلا يتأمّلون مُغَازلاتِ الطّير أو يدْرُسون بجديّةٍ أركولوجيا الأرصفة.

بابُ الإحصائيات: أديانٌ تتنزّل في البورصة، بشرٌ يَمْشون على أربع تشبُّهاً بالمُنْحنى الجَرسي، أرقامٌ تـسِمُ القفا وتُسَعّر المَحبّة ، أرقامٌ أراقِمُ تتلوّى في أرض السحرة.

وإذْ ذُهلتُ لفرْطِ ما وجدْتُّ من أبوابٍ عدُّوها ألفاً أو يزيدُ، كلُّ بابٍ يفضي لبابٍ، حدَّثْتُ نفسي: ما خلقنا الأبواب إلّا لنخدع قلبنا حينَ يشمُّ رائحة البحرِ، فيما صنعنا متاهاتٍ كاملة الإبداع، متاهاتٍ لا تكشف عن شيءٍ من نفسها، إلا لتدُسّنا في فخٍّ أكْمل.

4

كائنٌ منهم، نكادُ نُشْبههُ لولا أنَّه خِيميائيُّ الحِواراتِ وحَافظُ أسْرارِ التّحولات.

أوقفني في الحِيرة وقال: لا تُطْرق الأبوابُ ولكن تُطرق الألباب.

أوقفني في المحبة وقال: بالذي يَجْمع ما بين العناصر، هكذا بذرة المدائنِ تُسْقى.

أوقفني في اللاوعي وقال: شاعرٌ يَكتبنا ويكتُبك.

فإذا صرختَ الآنَ يستيقظُ من حُلْمهِ الغَائرِ في الآتي فتختفي، ونختفي .

ولا أمل سوى انتظارها، سوى انتظارِ الكارثة تأتي معطّرةً باليورانيوم.

وإن تأخرتْ تَغنُجاً...

ينتظرونها، يأساً من اللاشيء

ينتظرونها، مُخَلّصاً لكل شيء

لَمْ تَكُن حُنْجرتي معي. وأَسْمعُ الهذرَ يسري في رُخَامِ المدائنِ. لغةٌ تَسيلُ فتذوي تماثيلٌ وجسورٌ ونوَتاتٌ. أرى صوتي يَدْخُلُ في حلقي .أصرخُ .أسْتيقظُ . ألهثُ . أرى نفسي في البياض. بلا أَبْعادَ أو نقطة ارتكاز. أرى إزميلاً ذا ايقاعٍ فريد يدوّن في الأوقيانوس المتجمّد...

شمساً كُبْرى.